جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

المنهج البنيوي ومدى صلاحيته في الدراسات الإسلامية

إعداد

أ.د/ ممدوح إبراهيم محمود محمد
أستاذ فقه اللغة في كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

المنهج البنيوي ومدى صلاحيته في الدراسات الإسلامية.

ممدوح إبراهيم محمود محمد

كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: mamdouh99@gmail.com

الملخص:

كان المنهج البنيوي من أهم المناهج الفكرية الغربية التي لاقت رواجًا كبيرًا في أوربا وأمريكا في ستينيات القرن الماضي، لكنه مع أفوله عند الغرب في أواخر السبعينيات؛ لعدم جدواه وعدم واقعيته انتقل إلى بلادنا العربية والإسلامية بحيث وجد أرضًا خصبة ينتشر فيها لا سيما عند من التحق بدورهم وتأثر بهم أو تتلمذ عليهم أو ترجم أعمالهم، فحاول بعضهم تطبيقه على القرآن الكريم، وما كان ذلك منهم إلا انتماء فكريًّا وثقافيًّا للغرب، وتنكرًا للغته ولدينه بل وللقرآن الكريم أيضا الذي أرادوا نفي صفة القدسية والمصدر الإلهي عنه، ومحاولة تفسيره وكأنه – في فكرهم وثقافتهم – من نتاج العقل البشري، وذلك من خلال محاولتهم إخضاعه لهذا المنهج البنيوي السوسيري عامة، والبارتي خاصة في تحليل النصوص الأدبية والنصوص الدينية المقدسة، وإخضاعها للمعنى الذي يريده أو يوظفه فيه القارئ وليس الكاتب أو المؤلف بعيدًا عن الظروف والملابسات الخارجية المحيطة بالنص فتعزله تمامًا عن سياقه، وتفسره وفق ما يريد القارئ وليس وفق ما تطلبه السياق أو مبدع النص، وقد عرفت في المبحث الأول بالمنهج البنيوي ونشأته وتطوره، والفرق بين الدراسات البنيوية الضمنية عند العرب القدامى وبين البنيوية الغربية الحديثة، وتحدثت في المبحث الثاني عن مدى صلاحية هذا المنهج الغربي في الدراسات الإسلامية بصفة عامة وفي القرآن الكريم بصفة خاصة، فعرضت لآراء العلماء المستشرقين وأتباعهم من المستغربين الذين أرادوا إخضاع النصوص القرآنية

لهذا المنهج التحليلي في دراسة النصوص، فبينت فكرهم ومنهجهم ونقدتهم، وبينت بصورة لا لبس فيها وبالأدلة القاطعة عدم صلاحية هذا المنهج في الدراسات الإسلامية عامة والنصوص القرآنية خاصة، كما قمت بالرد على من ادعى وجود هذا المنهج نفسه عند سيبويه وعبد القاهر الجرجاني.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات المعاصرة، البنيوية، اللسانيات الوصفية، الدراسات الإسلامية، الإيديولوجيا.

The structural approach and its validity in Islamic studies.

Mamdouh Ibrahim Mahmoud Mohammed
College of Arabic Language, Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: mamdouh99@gmail.com

Abstract:
The structural approach was one of the most important Western intellectual approaches that gained great popularity in Europe and America in the sixties of the last century, but with its decline in the West in the late seventies; Because of its futility and unreality, it moved to our Arab and Islamic countries, where it found fertile ground to spread, especially among those who joined their role and were influenced by them, or were their students, or translated their works. Some of them tried to apply it to the Holy Qur'an, and this was nothing but an intellectual and cultural affiliation to the West, and a denial of its language and religion, and even the Holy Qur'an, which they wanted to deny the attribute of holiness and divine source from, and an attempt to interpret it as if it were - in their thought and culture - a product of the human mind, through their attempt to subject it to this Saussurean structural approach in general, and Barthes in particular, in analyzing literary texts and sacred religious texts, and subjecting them to the meaning that the reader wants or employs in it, not the writer or author, far from the external circumstances and conditions surrounding the text, isolating it completely from its context, and interpreting it according to what the reader wants and not according to what the context or the creator of the text requires. In the first section, I introduced the structural approach, its origins and development, and the difference between implicit structural studies among the ancient Arabs and modern Western structuralism. I spoke in The second topic is about

the validity of this Western approach in Islamic studies in general and in the Holy Quran in particular. I presented the opinions of Orientalist scholars and their followers from the Westernizers who wanted to subject the Quranic texts to this analytical approach in studying the texts. I explained their thought, approach and criticism, and demonstrated in an unambiguous manner and with conclusive evidence the unsuitability of this approach in Islamic studies in general and Quranic texts in particular. I also responded to those who claimed that this same approach existed in Sibawayh and Abdul Qaher Al-Jurjani.

Keywords: Contemporary linguistics, Structuralism, Descriptive linguistics, Islamic studies, Ideology.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين منزل الفرقان الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم، على خير الأنام سيد الأولين والآخِرين سيدنا محمد بن عبد الله النبي الأمي الأمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله هاديا ومعلما للبشرية، وعلى آله وصحبه والتابعين الذين نقلوا عنه وأثبتوا بكل صدق وأمانة ما أوحي إليه به مما جعله الله – ﷻ – النور الذي يستضاء به على مر الزمان واختلاف المكان.

وبعد:

فقد شهد عالمنا الحديث في القرن العشرين ظهور مناهج لسانية أو لغوية أسست لمفاهيم حديثة شاعت وانتشرت عند الغرب وأصبحت تحظى بالقبول، وكان المنهج البنيوي – الذي ساد في أوائل القرن العشرين انطلاقًا من الدراسات اللغوية التي أسس جذورها فرديناند دوسوسير، وامتدادا إلى مختلف الميادين العلمية عامة، وتطبيقا وتحليلا للنصوص الأدبية خاصة – من أهم هذه المناهج الفكرية الغربية التي لاقت رواجا كبيرا في أوربا وأمريكا، والذي ما لبث – بعد ذلك – أن ثبت عدم جدواه وعدم واقعيته وصحته، فأفل واندثر في منبته الرئيس، لكنه مع ذلك انتقل إلى بلادنا العربية والإسلامية بعد أفوله عند الغرب حيث وجد أرضًا خصبة ينتشر فيها لا سيما عند من التحق بدورهم وتأثر بهم أو تتلمذ عليهم أو ترجم أعمالهم، وعملوا جاهدين على تطبيقه على تراثنا العربي الإسلامي بكل ما فيه، بل على إخضاعهم القرآن الكريم له، حيث تعاملوا معه بنفس المنطق الذي تعاملوا فيه مع النصوص البشرية بعيدًا عن قائله وهو الله – ﷻ – فأرادوا بهذا المنهج التغريبي الذي ثبت فشله زعزعة الثوابت والمعتقدات وقطع الصلات، وأضحت البنيوية اللسانية عمومًا في بلادنا العربية والإسلامية واقعًا ملموسًا لا بد لنا من التعامل معه بالسلب أو الإيجاب،

من هنا جاءت فكرة هذا البحث الموسوم بـ (المنهج البنيوي ومدى صلاحيته للدراسات الإسلامية)، وعليه فإن مشكلة البحث الرئيسة تكمن في التعرف على هذا المنهج التغريبي الذي اتخذه بعض الباحثين شرقا وغربا في تفسير القرآن الكريم في ضوئه وتحميله ما لا يحتمل من التفسيرات الغريبة التي تبعد النص الكريم عن سياقه الذي نزل فيه فتتعامل معه كأنه نتاج العقل البشري.

أما أسئلة البحث التي ينطلق منها ويسعى إلى الإجابة عنها فهي على النحو التالي:

١. ما المنهج البنيوي وكيف نشأ؟
٢. ما هي أبرز المنطلقات الفكرية لهذا المنهج في تحليل النص القرآني؟
٣. من أبرز العلماء الذين حاولوا تطبيق هذا المنهج في تحليل الآيات القرآنية غربا وشرقا؟
٤. ما هي الخلفية الثقافية التي انطلق منها دعاة هذا المنهج في تحليل النصوص؟
٥. ما مدى صلاحية هذا المنهج في الدراسات الإسلامية عامة وفي تحليل النصوص القرآنية خاصة؟

وقد طرق هذه الفكرة من قبل د/ محمد بلعفير في بحثه الموسوم بـ (البنيوية النشأة والمفهوم عرض ونقد) والمنشور في مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية – العدد (١٥)، المجلد (١٦) يوليو – سبتمبر ٢٠١٧م في ثلاث صفحات من بحثه المكون من ست وثلاثين صفحة في المجلة المذكورة، وقد اكتفى فيه بالإشارة إلى عدم صلاحية هذا المنهج البنيوي للدراسات الإسلامية، ولم يدلل على ذلك بذكر الأدلة وإنما كان حديثه عاما، وجاءت دراسته دراسة مقتضبة وهامشية، حيث عني بدراسة البنيوية وهي الهدف الرئيس من بحثه، ولم يتعرض للباحثين الغربيين وبعض العرب المتغربين الذين ساروا على نهجهم وحاولوا تطبيق هذا المنهج على القرآن الكريم باستثناء محمد أركون الذي عرض له في أسطر ولم يرجع فيها إلى أي

كتاب من كتب محمد أركون المتعددة والتي تبنى فيها هذا المنهج البنيوي ولم يقتبس نصًا واحدًا من نصوصه الكثيرة في كتبه المختلفة يثبت فيه صدق مقالته، خلافًا لما قدمته في بحثي هذا من حديث تفصيلي موثق بنصوص متعددة تبرز هذه الشخصية والنصوص المنقولة عنها، ومدى تبنيها لهذا المنهج البنيوي الغربي، وكيف طبقه على القرآن الكريم، كما لم يتعرض بلعفير لجذور هذه الفكرة وهي تطبيق المنهج البنيوي على النصوص ومنطلقاتها الفكرية عند رولان بارت الذي اتخذ البنيوية اللغوية أساسًا لعمله في تحليل النصوص ومرتكزًا لقيامها، وكذا نيتشه أو غيرهما ممن ورد ذكرهم في المبحث الثاني من بحثي هذا وهم كثيرون غربًا وشرقًا، وقد تعرضت لهم في بحثي هذا بالبحث والدراسة والنقد المدعوم بالأدلة، ومن هنا فقد جاء المنهج والمادة العلمية والمصادر مختلفة اختلافًا تامًا وجذريًّا بين البحثين، وقد ترتب على ذلك اختلاف النتائج فيهما حسب طبيعة كل بحث وهدفه الرئيس الذي بني عليه. كذا اهتم بحثي هذا ببيان تطور المنهج البنيوي في التطبيق على النصوص الدينية لا سيما القرآن الكريم الذي تعاملوا معه على أنه أو كأنه نتاج بشري وليس وحيًا إلهيًّا مقدسًا مرتبطًا بغايات محددة ومقصودة لذاتها.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي، المتبع بالتحليل والرصد، والنقد أيضا؛ لذا جاء هذا البحث في: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين هما: المبحث الأول: التعريف بالمنهج البنيوي، والمبحث الثاني: مدى صلاحية المنهج البنيوي في الدراسات الإسلامية، ثم خاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

واللهَ – ﷻ – أسأل أن أكون قد وفقت فيما صبوت إليه، إنه نعم المولى ونعم الوكيل، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

سورة هود من الآية (٨٨)

التمهيد

مدخل تعريفي

انفتح العالم العربي في العصر الحديث على الغرب في تحليل النصوص الأدبية من خلال دراسة البنية اللغوية الداخلية للنص بعيدا عن الظروف الخارجية أو الملابسات المحيطة به أو بكاتبه، بفعل التطور والحداثة، مما مهد لظهور بعض المفاهيم الغربية في ثقافتنا العربية، بل محاولة تطبيقها كليًّا على تراثنا العظيم الذي هو رمز ثقافتنا وعنوان حضارتنا والرابطة الفكرية التي تربط حاضرنا بماضينا وتراثنا الخالد، فانفتحوا انفتاحًا تامًا منبهرين ومعجبين على الثقافة الغربية التي تشكلت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وجعلوها عنوانًا للنهضة والتقدم في مجالات المعرفة الإنسانية وفي مقدمتها الدراسات اللغوية، فظهرت في عالمنا العربي الحديث عدة نظريات ومناهج غربية من متغربين تأثروا بهذا الفكر الغربي وحاولوا تطبيقها على لغتنا العربية بل على أقدس الأقداس وهو القرآن الكريم، وكان المنهج البنيوي الذي باد واندثر في الغرب في سبعينيات القرن العشرين؛ لعدم جدواه أحد هذه النظريات أو المناهج التي حاول بعضهم تطبيقها على القرآن الكريم، وما كان ذلك منهم إلا انتماء فكريًّا وثقافيًّا للغرب وتنكرًا للغته ولدينه بل وللقرآن الكريم أيضا الذي أرادوا نفي صفة القدسية والمصدر الإلهي عنه، ومحاولة تفسيره وكأنه – في فكرهم وثقافتهم – من نتاج العقل البشري، وذلك من خلال إخضاعه لهذه المعايير والمناهج الغربية الحديثة وفي مقدمتها المنهج البنيوي السوسيري عامة، والبارتي خاصة في تحليل النصوص الأدبية والنصوص الدينية المقدسة، ونسوا أو تناسوا أن هذا المنهج خاصة قد نشأ عند الغرب استجابة لظواهر أو ظروف سياسية واجتماعية وجدت في تلك المجتمعات من أهمها سيطرة الكنيسة على الفكر الغربي، وأن هذا الفكر لا يصلح تعميمه أو تطبيقه على الفكر العربي أو الإسلامي عامة، وبخاصة على التراث الإسلامي الذي حفظ للعربية وحدتها

ومكانتها وعلومها التي كانت هي في الأساس مشاعل النور للحضارة الغربية الحديثة إبان العصور الوسطى.

والبنيوية هي – في الأصل – منهج لغوي يعنى بدراسة النصوص من داخلها وتغلق النص على نفسه، وتربط بين الجزئيات والكليات وفق منهج شمولي يتخطى أصغر الوحدات المشكلة للبناء اللغوي في النص إلى تكاملها الكلي بعيدًا عن الظروف والملابسات الخارجية للنص، وإخضاعها للمعنى الذي يريده أو يوظفه فيه القارئ وليس الكاتب أو المؤلف، حيث اقتصرت على تحليل النص وحده دون الرجوع إلى مراجعة النفسية لدى المبدع أو ظروفه الاجتماعية، فألغت الفرادة والخصوصية الفنية للنص الواحد، وقضت على المبدع وتميزه، فوجدت البنيوية نفسها أمام باب مسدود بسبب هذه الانغلاقية. وهي من المناهج التي سيطرت على المعرفة الإنسانية في الفكر الغربي الحديث لا سيما في الستينيات من القرن العشرين. وهي في الأصل "منهج لغوي، وفلسفي، وفكري، ونقدي، يعتمد في الأساس على أن كل ظاهرة إنسانية كانت أم أدبية تشكل بنية، ولدراسة هذه البنية يجب علينا أن نحللها أو نفككها إلى عناصرها المؤلفة منها بدون أن ننظر إلى أية عوامل خارجية عنها". (١) وهي في معناها الواسع: "طريقة بحث في الواقع، ليس في الأشياء الفردية، بل في العلاقات بينها، وهذا ما ذهب إليه جان بياجيه وغيره. أما في النقد، فتعرف البنيوية على أنها محاولة التوحد بين لغة الأثر الأدبي والأثر الأدبي نفسه باعتباره نسقًا يتألف من جملة عناصر لغوية وشكلية". (٢)

(١) البنيوية أفلسفة هي أم منهج – رسالة دكتوراة في اللغة العربية وآدابها بجامعة الخرطوم للطالبة/ هناء محمد أبو زينب محمد للعام ٢٠٠٦م صـ ٢٠٥ بتصرف.

(٢) مناهج النقد الأدبي المعاصر – د/ سمير حجازي صـ ١٧١.

وقد تعدد رواد هذا المنهج بتعدد ميادينه وعلومه، ولعل هذا الامتداد الهائل للبنيوية إلى الدراسات المختلفة في العلوم الطبيعية والأنثروبولوجية واللغوية والأدبية وغيرها هو الذي حمل بعض الدارسين على أن يراها منهجًا وليست مجرد مصطلح أو مذهب في جميع أشكالها وفي مختلف المجالات المعرفية، وقد انطلقت هذه الميادين البنيوية المتعددة من البنيوية اللغوية أي من اللسانيات الحديثة التي أرسى جذورها فرديناند دوسوسير وغيره من علماء اللسانيات كما سيظهر في ثنايا البحث.

المبحث الأول

التعريف بالمنهج البنيوي

المنهج لغة: يعنى به الطريق، يقول ابن فارس: "النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول النَّهْج، الطّريق. ونَهَج لي الأمرَ: أوضَحَه. وهو مُستقيم المِنْهاج. والمَنْهج: الطَّريق أيضًا، والجمع المناهج. والآخر الانقطاع". (١) وعلى ذلك يراد به في اللغة: الطريق الواضح البين، ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (٢)....". (٣)

واصطلاحًا هو: "مجموعة من القواعد المنضبطة، تُعتمد باستعمال مجموعة من الوسائل والأساليب المناسبة عبر مراحل، لبلوغ أهداف محدّدة". (٤) أو هو: "طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية". (٥)

البنية لغة:

تشتق كلمة (بنية) في اللغة العربية من الفعل الثلاثي (بنى)؛ وتعني البناء أو الطريقة، وكذلك تدل على معنى التشييد والعمارة والكيفية التي يكون عليها البناء، أو الكيفية التي شيد عليها، يقول ابن منظور في لسان العرب: "بنية من الفعل بنى: ما بنيته وهو البنى، والبنى يقول الحطيئة:

---

(١) معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس – تح/ عبد السلام هارون، مادة (ن هـ ج).

(٢) سورة المائدة من الآية (٤٨).

(٣) تاج العروس – محمد مرتضى الزبيدي – باب الجيم فصل النون (ن هـ ج).

(٤) المنهج القرآني في بناء العقيدة – قاسمي السعيد، تحت إشراف: سعيد فكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، الجزائر ١٤٣٤/ ١٤٣٥هـ صـ ٩ – ١٣.

(٥) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام – د/ النشار ١/ ٣٦.

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البناء وإن عاهدوا أوفوا، وإن عقدوا شدوا (١)

وإنما أراد هنا بالبنى جمع بنية وإن أراد البناء، والبنية: الهيئة التي يبنى عليها مثل المشية والركبة.... أما البنيان: فهو الحائط... ويقال: فلان صحيح البنية، أي الفطرة، أبنيت الرجل أعطيته بناء أو ما يبتني به داره". (٢)

وجاء في المعجم الوسيط: "بنى الشيء بنيًا وبناء وبنيانًا: أقام جداره ونحوه، يقال: بنى السفينة، وبنى الخباء، واستعمل مجازًا في معان كثيرة تدور حول التأسيس والتنمية، يقال: بنى مجده، وبنى الرجال... والبناء: المبنى جمع أبنية... وعند النحاة: لزوم آخر الكلمة حالة واحدة مع اختلاف العوامل عليها.... والبنية: ما بني جمع بنى، والبنية: هيئة البناء، ومنه بنية الكلمة: أي صيغتها... والبنية: كل ما يبنى وتطلق على الكعبة". (٣)

البنيوية اصطلاحا:

تبدو صعوبة تعريف البنية، والبنيوية من خلال تداخلها، وتقاطعها مع اختصاصات واتجاهات أخرى، حيث عرفت البنيوية اصطلاحا بعدة تعريفات مختلفة لتعدد ميادين استعمالها، بل إن البنيويين أنفسهم نجدهم قد أوردوا لها تعريفات مختلفة. (٤) فبعضهم عرفها بأنها: "نسق من العلاقات الباطنة المدركة

(١) ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت – دراسة وتبويب د/ مفيد محمد قميحة صـ ٧٢ – دار الكتب العلمية، بيروت– الطبعة/ الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) لسان العرب – ابن منظور – باب الياء فصل الباء (ب ن ي).

(٣) المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفي، وآخرون (ب ن ى).

(٤) ينظر: البنيوية – جان بياجيه – ترجمة/ عارف منيمنة وبشير أوبري صـ ٨.

وفقًا لمبدأ الأولوية المطلقة، للكل على الأجزاء له قوانينه الخاصة المحايثة [١] من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي". [٢]

في حين عرفها "جان بياجيه (Jean piaget) على أنها عبارة عن: "مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين (كمجموعة خصائص العناصر) تبقى أو تغتني بلعبة التحويلات نفسها دون أن تتعدى حدوده أو أن تستعين بعناصر خارجية. وتتألف البنية من ميزات ثلاث: الجملة، التحويلات، الضبط الذاتي". [٣]

وعرفها الشكلانيون الروس [٤] بأنها "وحدة لغوية ساكنة غير متحركة في الزمان والمكان، وكأنها معزولة عن السياق التاريخي والاجتماعي الذي نشأت فيه". [١]

---

(١) التحليل المحايث لا ينظر إلى النص إلا في ذاته مفصولا عن أي شيء يوجد خارجه، والمحايثة بهذا المعنى هي عزل النص والتخلص من كل السياقات المحيطة به، فالمعنى ينتجه نص مستقل بذاته ويمتلك دلالاته في انفصال عن أي شيء آخر.

(٢) البنيوية التكوينية والنقد العربي الحديث "دراسة لفاعلية التهجين"– أحمد سالم ولد أباه صـ ١.

(٣) ينظر: البنيوية صـ ٨.

(٤) هي من أبرز المدارس المؤثرة في ميدان النقد الأدبي في روسيا بين عامي (١٩١٠ – ١٩٣٠م) قبل الثورة الشيوعية الروسية وكان لها أثر كبير على كثير من المفكرين الروس وغيرهم، وقد قامت بدراسة الأدب على أنه منتج له استقلاليته وخصوصيته، وكان لها أثر كبير على المنهج البنيوي، وتعد هذه المدرسة التطبيق العملي لألسنية سوسير التي أثرت كثيرا في تفكير الشكليين (ينظر: المرايا المحدبة صـ ١٩١). وأهم أعلام الشكلانية الروسية هم: شلوفسكي ، ايخنباوم، توماتشيفسكي تيتيانوف، بروب، جاكبسون، باختين. ينظر: (تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية دراسة في نقد النقد – د/ محمد عزام صـ ١٣).

أما البنيوية الأدبية فهي: "الكشف عن النسق أو النظام الكلي الذي يفترض وجوده وانتماء النص اللغوي إليه، وذلك عن طريق دراسة الأنساق الصغرى". (٢)

وعرفها ليفي شتراوس – وهو أحد علماء الاجتماع المبرزين – بأنها "نسق يتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها أن يحدث تحولًا في باقي العناصر الأخرى". (٣)

فتعدد تعريف مصطلح (البنيوية) مرجعه إذن إلى تنوع البنيوية وعدم اختصاصها، حيث اختلف مفهومه باختلاف الأشخاص وباختلاف الانتماءات الفكرية أو الخلفيات الثقافية لجمعها بين كثير من المناهج المختلفة. ومن هذا المنطلق تعد البنيوية مدرسة فكرية أسهم فيها مؤسسون مختلفو التخصصات، حيث دخلت البنيوية ميادين عدة ومنها علم الرياضيات إذ يسهل شرح مفهوم البنية وتحويلاتها، ثم إلى الأنثروبولوجيا (أي الإناسة) حيث ثبتت فيه البنيوية أقدامها مع عالم الأنثربولوجيا "كلود ليفي شتراوس" الفرنسي (١٩٠٨م)، مرورًا بعلم الفيزياء والأحياء (البيولوجيا)، وعلم اللغة، وعلم النفس، وعلى هذا الأساس تكون البنيوية مبدأ عامًا يصلح أن يتبنى في اللغة والاجتماع. يقول الفيلسوف

=

(١) البنيوية التكوينية والنقد العربي الحديث "دراسة لفاعلية التهجين" صـ ١.

(٢) المرايا المحدبة – د/ عبد العزيز حمودة صـ ٢٠١

(٣) علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب) – عز الدين المناصرة صـ ٥٤٠، وأصول البنيوية في الدراسات الأثنولوجيا – د/ محمود فهمي حجازي – مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب / الكويت – المجلد الثالث – العدد الأول ١٩٧٢م صـ ١٧٨.

أرنست كاسيرر (Frnet cassortrt ١٩٤٥م) [١] : "من خلال ما سبق من وجود البنيوية في مجالات عدة وعلوم مختلفة يمكننا القول: إن البنيوية هي في الأصل ليست مجرد اصطلاح، بل هي منهج فكري وأداة للتحليل تحاول الدراسات المختلفة في العلوم الطبيعية واللغوية والأنثروبولوجية والأدبية والفنية أن تطبقه في إصرار". [٢]

أما في الاصطلاح العربي الحديث فنجد عددًا من النقاد العرب الذين اهتموا بالبنيوية في دراساتِهم وطبقوا مبادئها وأسسها على النصوص التي درسوها، وقد عرفوها بتعريفات عدة منها تعريف عبد السلام المسدي المنهج البنيوي بأنه "يعتزم الولوج إلى بنية النص الدلالية من خلال بنيته التركيبية".[٣] وعرفها صلاح فضل بقوله: "البنية عبارة عن مجموعة متشابكة من العلاقات، وهذه العلاقات تتوقف فيها الأجزاء أو العناصر على بعضها من ناحية وعلى علاقتها بالكل من ناحية أخرى".[٤] وعرفها جميل حمداوي بأنها: "طريقة وصفية في قراءة النص الأدبي تستند إلى خطوتين أساسيتين وهما: التفكيك والتركيب، كما أنها لا تهتم بالمضمون المباشر، بل تركز على شكل المضمون وعناصره وبناه التي تشكل نسقيه النص في اختلافاته وتآلفاته". [٥]

---

(١) هو فيلسوف ألماني ومؤرخ فلسفة ينتمي إلى ما يسمى بمدرسة ماربورج في "الفلسفة الكانطية الجديدة". اشتهر كأبرز شارح للفلسفة النقدية الكانطية في القرن العشرين. غادر ألمانيا في عام 1933، وتوفي في نيويورك ١٩٤٥م.

(٢) قضية البنيوية دراسة ونماذج صـ ١١٩.

(٣) انظر: قضية البنيوية دراسة ونماذج – د/ عبد السلام المسدي صـ ٧٧.

(٤) نظرية البنائية في النقد الأدبي– د/ صلاح فضل صـ ١٩.

(٥) مقال بعنوان: (ما البنيوية، دارسات وأبحاث أدبية) – د/ جميل حمداوي – موقع على الإنترنت

أما عن العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي: فنجد أن فكرة البناء أو النسق ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمفهومات البناء الاجتماعي والنظم الاجتماعية، فهي في أبسط معانيها تشير إلى قيام هذه الوحدة الشاملة التي تتألف من عدد كبير من العناصر والمكونات المتفاعلة على الرغم من كثرتها وتعقدها وتناقضها في كثير من الأحيان، فهي بذلك تقتضي ضرورة التسليم بأن كل جزء أو عنصر من العناصر الداخلة في تكوين الكل – أيًّا كان ذلك الكل – يؤدي وظيفة معينة بالذات من شأنها الإسهام في تماسك هذا الكل. (١)

نشأة المنهج البنيوي:

يعد المنهج البنيوي منهجًا لغويًّا أو لسانيًّا بحتًا ساد في ألسنية أوائل القرن العشرين، ولكنه امتد إلى العلوم الإنسانية عمومًا وإلى الأدب الذي طبق مبادئه في تحليل النصوص بوجه خاص باعتباره دراسة شاملة تستوعب اللغة في كافة جوانبها؛ حيث استخدمه العلماء أساسًا للتمييز الثنائي الذي يعتبر أصلًا لدراسة النص دراسة لغوية. وكل ظاهرة – تبعًا للمنهج البنيوي – يمكن أن تشكل بنية بحد ذاتها؛ فالأحرف الصوتية بنية، والضمائر بنية، واستعمال الأفعال بنية... وهكذا، ثم انتقلت إلى بقية المجالات الأخرى غير اللغوية، حيث أرجعت أنواع الثقافات جميعها إلى اللغة، بعد أن ادّعت أن اللغة هي المسيطرة على أنشطة الإنسان جميعها وقامت بتطبيق النظرية الألسنية على مواضيع أخرى غير اللغة ذاتها.

فهو منهج علمي يقول بـ "سيطرة النظام اللغوي على عناصره، وتهدف إلى استخلاص طابعه النسقي من خلال العلاقات القائمة بين عناصره،

(١) كلود ليفي ستروس والتحليل البنيوي للأسطورة – د/ يحي خير الله – مجلة الإناسة وعلوم المجتمع العدد (٥)، يوليه ٢٠١٩م صـ ١٩٥.

وتحرص على إبراز الطابع العضوي لشتى التغيرات التي تخضع لها اللغة". [١] وهو منهج يدرس النص في ذاته ومن أجل ذاته ويتعامل معه بعيدًا عما يدور خارجه كعلاقته بالواقع الاجتماعي، وأحوال قائله النفسية، فهو يتعامل مع النص باعتباره بنية مستقلة ... فهو على هذا الأساس يفسر الحدث من خلال البنية، والبنية هي ذلك النسق المتكامل الذي يتألف من كلمات وأصوات ورموز وصور وموسيقى؛ ولذلك قيل: إن التحليل البنيوي يحمل مدلولا مكثفًا ومعقدًا. [٢]

وعلى هذا تكون اللسانيات البنيوية: هي المنهجية النظرية التي تعد اللسان بنية؛ أي: مجموعة من العناصر التي تقيم علاقات شكلية فيما بينها. وهي علم يقوم على أساس أن تحليل أي عنصر من عناصر اللغة لا يتم بمعزل عن بقية العناصر في النظام اللغوي. وهي (أي: اللسانيات البنيوية) نظرية تطبق المنهج الوصفي في دراسة اللغة، فتنظر إليها على أنها وحدات صوتية تتجمع لتكون وحدات مورفولوجيةً (صرفيةً) لتكون هذه بدورها عبارات وتراكيب وجملًا. [٣] فالبنيوية إذن هي "منهجية تحليلية، تقوم فلسفتها على اعتبار البنية الذّاتية للظواهر بمعزل عن محيطها الخارجي والتأثيرات الأخرى، فهي تنظر إلى تلك الظواهر من الداخل، وتفترض أنّها مغلقة على ذاتها". [٤]

(١) مشكلة البنية – د/ زكريا إبراهيم صـ ٧٠

(٢) ينظر: دليل الناقد الأدبي صـ ٦٧، والبنيوية النشأة والمفهوم عرض ونقد – محمد بلعفير – مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ١٥، المجلد ١٦، ٢٠١٧م صـ ٢٤٣.

(٣) ينظر في ذلك: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية – مرتضى جواد باقر صـ ١٥ وما بعدها.

(٤) البنيوية النشأة والمفهوم عرض ونقد صـ ٢٤٩.

أما عن نشأتها كمنهج في الدراسات العلمية فإنها ترجع إلى أوائل القرن العشرين عندم نُشِر كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة" للسويسري (فرديناند دوسوسير) في باريس سنة ١٩١٦م، وذلك حين بيَّن أن سياق اللغة لا يقتصر على التطورية، وأن تاريخ الكلمة لا يعرض معناها الحالي، ويكمن السبب في وجود النظام بالإضافة إلى وجود التاريخ. (١) وذلك عندما اعتبر اللغة نسقًا لسانيًّا منغلقًا على نفسه، لا يفسر معناه إلا من خلال العودة إلى هذا النظام، دون اللجوء إلى السياق الخارجي بما فيه مبدع اللغة ذاته، فالمؤلف هو أداة للعناصر وليس مبدعًا لها من حيث هو الذي ينشئ النظام.(٢)

ففكرة البنيوية عند سوسير فكرة بسيطة تتلخص في نظرته إلى اللغة بوصفها نظامًا أو هيكلًا مستقلًا عن صانعه أو الظروف الخارجية التي تحيط به. وينظر إلى هذا الهيكل من داخله من خلال مجموعة وحداته المكونة له بوصفها تمثل كلًا قائمًا بذاته. فاللغة هي شبكة واسعة من التراكيب والنظم. وهي أشبه شيء برقعة الشطرنج التي لا تتحدد قيم قطعها بمادتها المصنوعة منها وإنما بمواقعها والعلاقات الداخلية بينها في هذه الرقعة. فكما إن كل قطعة منها تتحدد قيمتها وترتبط بموقعها على هذه الرقعة، كذلك تتحدد قيمة كل تركيب أو قيمة كل وحدة في التركيب بالنظر إلى هذه التراكيب، وتلك الوحدات. (٣)

(١) البنيوية – جان بياجيه صـ ٦٤، والبنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو – د/ عبد الوهاب جعفر صـ ١.

(٢) البنيوية فلسفة قتل الإنسان (قراءة في مقولة موت المؤلف) – أ/ مغربي محمد رضا صـ ٤.

(٣) ينظر: دروس في الألسنية العامة صـ ٤٧، وصـ٢٠١.

فقد انصب اهتمام البنيوية على الهياكل أو البناءات أو النظم الثابتة الكامنة وراء شتى مظاهر الخبرة البشرية، ومن ثمة مجدت البنية على حساب مقوماتها، والتحليل البنيوي على حساب الاستقراء والتعميم، وبالتالي تجاهلت البنيوية أهمية ودلالة كل عنصر على حدة، بل ضحت بهذه الدلالات من أجل البناء العام الذي تخضع له. (١)

وتعد هذه الدراسات التي قام بها دوسوسير الأساس الأول للبنيوية اللغوية عند الغرب. فقد وضع الأسس النظرية التي مهدت لتحول البحث اللغوي من المنهج التاريخي المقارن – (الذي ساد في القرن التاسع عشر في كل فروع الدراسات الاجتماعية والإنسانية) – إلى البنيوية. (٢) فهو يتصور اللغة بوصفها نظامًا بنيويًّا يشكل أساسًا لكل استخدام لغوي أو لكل كلام سواء أكان نطقًا أم كتابة.(٣)

ويمكن إيجاز أهم أفكار دوسوسير البنيوية (مدرسة جنيف) في ثلاثة أفكار مترابطة متكاملة لا انفصام لها، وليس من السهل أن يعزل واحد منها عن الآخر في نظر دوسوسير على الأقل. (٤) وهذه الأفكار الثلاثة تمثل الأسس التي قامت عليها البنيوية اللغوية وهي:

---

(١) البنيوية والعولمة في فكر كلود لفي شتراوس – محمد مجدي الجزيري صـ ١٧١ – دار الحضارة ١٩٩٩م.

(٢) أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الإثنولوجية – د/ محمود فهي حجازي – مجلة عالم الفكر المجلد (الثالث)، العدد (الأول) ١٩٧٢م صـ ١٥٧– المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت.

(٣) بؤس البنيوية (الأدب والنظرية البنيوية) – ليونارد جاكسون – ترجمة/ ثائر ديب صـ ٢٧.

(٤) ينظر: السابق صـ ١٧٢: ١٨٥.

١. يفصل اللغة كمؤسسة اجتماعية عن الكلام الذي هو عملية صادرة عن الفاعل.
٢. يفصل اللغة عن تاريخ اللغة عن طريق نوع من القطع العرضاني صارفًا النظر عن الزمن ومنكبًّا على الدراسة التزامنية.
٣. يفصل اللغة عن سياقها الاجتماعي ليدرسها وفق قوانينها المحايثة وحدها.(١)

لذا فهو يفرق بين ثنائية النسق والنظام، وثنائية اللغة والكلام، وثنائية الدال والمدلول. (٢) كما يرى دوسوسير أن العلاقة بين الدال والمدلول عرفية ومواضعة؛ أي: أن الرابط الجامع بين الدال والمدلول اعتباطي، فالعلامة الألسنية اعتباطية، ويؤيد ذلك ما يوجد بين اللغات من فوارق في تسمية الأشياء واختلاف اللغات نفسه. (٣)

وقد كان لذلك التمييز – بين اللغة والكلام – أثر كبير في الأعمال البنيوية، حيث نجد لديهم تلك التفرقة بين البنية والحدث؛ أي: بين الأحداث والقواعد التي تتحكم في هذه الأحداث، وأيهما أسبق وجودًا البنية أم الحدث؟ ودراسة النظام الداخلي أصبحت تعرف بأنها "اللسانيات البنيوية" أو "المدرسة البنيوية". (٤) إلا أن دوسوسير لم يطلق مصطلح (بنية أو بناء) على النظام

(١) ينظر: البنيوية فلسفة موت الإنسان – روجيه جارودي صـ ٢٤.
(٢) ينظر: دروس في الألسنية العامة صـ ٢٩، ٣٦، ٤٧، ٢٠١، وموقف علم للغة الحديث من أصول النحو العربي دراسة في المؤلفات العربية والمترجمات – رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية / جامعة أم القرى – مطير بن حسين المالكي – عام ١٤٢٢/ ١٤٢٣هـ صـ ١٨٣.
(٣) السابق صـ ١١١: ١١٢
(٤) بؤس البنيوية صـ ٤٧.

اللغوي، لكن البنيويين الذين جاءوا بعده فسروا (النسق) بالبنائية فبعد أن نشرت محاضراته سنة ١٩١٦م (محاضرات في علم اللغة) قدمت دراسة في مؤتمر لاهاي بهولندا (١٩٢٨م) من ثلاثة دارسين هم: جاكبسون، وتروبتسكوي، وكراتشوفسكي وقد عالجت هذه الدراسة قضية اللغة وكونها نظامًا وبناءً، ثم أصدروا في عام (١٩٢٩م) بيانًا في مؤتمر (براغ) ليعلنوا صلاحية المنهج البنيوي لاكتشاف قوانين بنية النظم اللغوية وتطورها، وأطلقوا مصطلح (البنية) على النظام اللغوي فأصبحت (البنيوية) عندئذ منهجًا علميًا صالحًا لدراسة اللغات. (١) وقيل: إن "تينيانوف" أوّل من استخدم لفظة بنية في السنوات المبكّرة من العشرينيّات، وتبعه "رومان جاكبسون" الذي استخدم كلمة البنيويّة لأوّل مرّة عام ١٩٢٩م". (٢) وتسمى هذه المدرسة باسم (مدرسة براغ أو المدرسة الوظيفية) وقد تأسست سنة ١٩٢٠م وهي السنة التي وصل فيها النازحون الروس إلى براغ، وأخذت بعد ذلك طابعها المميز بدءا من عام ١٩٢٨م أي تاريخ انعقاد المؤتمر الدولي الأول للسانيات ١٩٢٨م في لاهاي هذا المؤتمر الذي ظهرت فيه بوضوح سمة الدراسة الصوتية الوظيفية. (٣)

فاللسانيات البنيوية في إطارها اللغوي قد هيمنت مدة تزيد على نصف قرن لتحتل بذلك مكانة متميزة في تاريخ الفكر اللغوي. ثم انتقلت المنهجية البنيوية التي اعتمدت في اللسانيات إلى حقول إنسانية واجتماعية أخرى فكان لها الصدى نفسه والإقبال نفسه. (٤) حيث ظهر بوضوح تأثير (دوسوسير) في

(١) الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين – د/ رشيد عبد الرحمن العبيدي – مجلة المورد العدد (الثالث)، مجلد (١٨) لسنة ١٩٨٩م صـ ٦.

(٢) المرايا المحدّبة (من البنيويّة إلى التفكيك) – د/ عبد العزيز حمودة صـ ١٨٧.

(٣) مدخل إلى المدارس اللسانية – د/ السعيد شنوفة صـ ٦٩.

(٤) ينظر: اللسانيات البنيوية المنهجيات والاتجاهات – د/ مصطفى غلفان صـ ٧.

كل المدارس اللسانية البنيوية التي جاءت بعده، وقد برز بوضوح هذا التأثير في كتابات (جاكبسون) و (تروبتسكوي) كما كان لـ (ليفي شتراوس) الدور نفسه في استثمار المنهجية البنيوية المستمدة من اللسانيات في أعماله الأنثروبولوجية. فبداية استخدام المنهج البنيوي كانت محصورة – إذًا – في علم اللغة كما كان عند دوسوسير في بداية التأسيس، ثم صار التطور بعد اكتشاف البنية في علم اللغة إلى الكشف عن عناصر النظام في الأدب عام (١٩٢٨م) فانتقلت بذلك إلى مجال الأدب فعرفت بالبنيوية الأدبية وذلك "حين وضع كل من جاكبسون، وتينيانوف برنامجًا بهذا الخصوص وكانت البنيوية الأدبية". (١)

وبذلك نستطيع القول: إن حلقة براغ اللغوية كانت مرحلة انتقالية من الشكلية إلى البنيوية، فقد طور أعضاؤها أفكار الشكليين، ونظموها نسقيًا على نحو أكثر رسوخًا في إطار لغويات دوسوسير، فأصبح من الواجب النظر إلى القصائد باعتبارها بنيات وظيفية تكون فيها الدوال والمدلولات محكومة بمنظومة محكمة من العلاقات، ويجب دراسة هذه العلاقات لذاتها، وليس بوصفها انعكاسات لواقع خارجي. (٢) وعلى هذا تكون البنيوية الأدبية قد ارتبطت في نشأتها بالبنيوية اللغوية التي أسسها دوسوسير حيث كانت حركة الشكليين الروس التي ظهرت بين عامي ١٩١٠ – ١٩٣٠ هي أول مصادر البنيوية الأدبية. وكانت بداية محاولات تطبيق النموذج البنيوي للغة على الأدب عام ١٩٢٨م حين وضع كل من جاكبسون وتيتانوف برنامجًا بهذا الخوص وكانت

(١) ينظر: البنيوية – جان بيوجيه صـ ٦٣.

(٢) انغلاق البنية وانفتاحها في البنيوية والتداولية والبلاغة العربية– د/ أسامة محمد إبراهيم البحيري – ندوة الدراسات البلاغية الواقع والمأمول ١٤٣٢هـ صـ ٧٦٠ – نقلا عن مقدمة في النظرية الأدبية – تيري إيجلتون – ترجمة/ إبراهيم جاسم العلي صـ ١ – دار الشئون الثقافية/ بغداد ١٩٩٢م.

تلك البداية للبنيوية الأدبية. [١] التي تهدف إلى دراسة الأدب في ذاته، بوصف أن كل نص أدبي بنية مستقلة قائمة بنظامها اللغوي الذي يمكن إدراك علاقاته وترابطاته وعناصره الأساسية، وكيفية تركيبها حيث تؤدي وظيفتها الجمالية. ومن هنا نجد أنّ النص الأدبي في البنيوية لا يرتبط بأي جانب خارجي لا بالمؤلف ولا بنفسيته ولا بالمجتمع، وإنما هو مرتبط بما سماه البنيويون أدبية الأدب. [٢] فالبنيويون لا يعترفون بالبعد الذاتي أو الاجتماعي للأدب؛ لأنّهم يعرفون الأدب بأنّه كيان لغوي مستقل لا صلة له بأي سياق خارجي. فدراستهم للعمل الأدبي هي دراسة آنية، والنص عندهم يسير وفق نظام واحد هو زمن نظامه.

وعلى هذا يكون (رومان جاكبسون) الذي أقام صلة الوصل بين المدرسة الروسية والبنيوية الحديثة بوصفه كان زعيمًا لحلقة موسكو الألسنية التي تأسست عام ١٩١٥م ثم هاجر إلى براغ ١٩٢٠م فأسس فيها مدرسة براغ الألسنية عام ١٩٢٦م. [٣] وذلك بعد أفول الشكلانية في روسيا بسبب الضغوط السياسية. [٤] أول من طبق البنيوية اللغوية على النص الأدبي في الغرب، ثم سار على نهجه رولان بارت وآخرون على النحو الذي سنجده موضحا في المبحث الثاني من هذا البحث.

ومن هنا يمكن القول: إن البنيوية قد انتقلت من علم اللغة من خلال مؤلفات "دوسوسير" الذي يعتبر الرائد الأول للبنيوية، إلى علم الاجتماع من خلال مؤلفات "كلود ليفي شتراوس" العالم الفرنسي الذي كان من أهم إسهاماته

(١) ينظر: بؤس البنيوية صـ ٤٣، ٤٤.

(٢) في مناهج القراءة النقدية الحديثة – عبد القادر علي باعيسى صـ ٤١.

(٣) تحليل الخطاب الأدبي في ضوء المناهج النقدية الحداثية (دراسة في نقد النقد) صـ ٢٤.

(٣) السابق صـ ٦٩.

أنه نشر كتابه (الأبنية الأولية للقرابة) في باريس سنة ١٩٤٨م. [١] حيث أخذ شتراوس ينظر إلى دراسة سوسير للغة بوصفها نسقًا مستقلا بذاته، نسقًا يقوم على التسليم بعلاقة فاعلة تصل مكونات العلامة اللغوية أي تصل بين نسق اللغة والكلام الفردي من ناحية، وبين الصورة الصوتية (الدال) والمفهوم (المدلول) من ناحية ثانية. [٢] ثم إلى علم النفس وعلم النفس التحليلي من خلال مؤلفات "ميشال فوكو" أو "جاك لاكان" [٣] إذ تلعب اللغة دورًا مركزيًّا في فكر الفرنسيين الخمسة كلود ليفي شتراوس، وبارت، وفوكو، ودريدا، ولاكان، دورًا لا يقل في أهميته عن الدور الذي تلعبه في أنثروبولوجيا ليفي شتراوس. حتى يمكن القول إنهم جميعًا مهووسون بها مهووسون بالطبيعة المؤسسية للغة وبقدرتها اللامتناهية على الخلق. [٤]

ومن كل ما سبق يمكننا استنتاج أن الفرنسيين بصفة عامة، وخاصة علماء اللغة مثل شتراوس، وبارت، ولاكان، وفوكو، وألتوسَير، ثم دريدا، "يركزون على مناقشة تركيب العقل البشري، وهم بهذا التركيز لا يتجهون إلى تأكيد الذات، أو الحفاظ عليها حرة مستقلة، بل إنهم في حقيقة الأمر ينفون

(١) الأنثروبولوجيا البنيوية صـ ٢٥.

(٢) ينظر: عصر البنيوية – إديث كرزويل – ترجمة د/ جابر عصفور صـ ٣٨.

(٣) والحق أن (لاكان) لم يكن بنيويا قط من أي نوع بالمعنى الضيق لكلمة بنيوي على الرغم من الدور المهم الذي لعبه في وضع حد للبنيوية الفرنسية وابتداعه طريقة جديدة للكتابة وإحلالها جزئيا محل الطريقة الدينية البنيوية كنوع من النظرية الأدبية (بؤس البنيوية ص ١٧٧).

(٤) البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا صـ ١٧.

وجود الذات كنقطة انطلاق، هذا ما جعل الطابع النقدي يتصف بهذه الميزة التي تسللت إليه من نمط تفكَير أولئك الفلاسفة/ النقاد". (١)

ومن خلال ما سبق من وجود البنيوية في مجالات عدة وعلوم مختلفة، وأنها لا تقتصر على مجال معرفي واحد حيث أصبحت قاسمًا مشتركًا بين علوم عدة يتبين لنا أن البنيوية اللغوية مرتبطة جنينيًّا باللسانيات؛ لأنها أتاحت للوعي أن يكشف خبايا اللغة الطبيعية، فاللغة هي الرحم الأولى لنشأة المعيار البنيوي فهي على ذلك فرع من الألسنية.

أما تحليل النص أو العبارة في الاتجاه البنيوي: فيقوم على جملة من الإجراءات التي تكون عبارة عن مجموعة من العمليات المنسقة والمستوعبة للغة من جميع نواحيها انطلاقًا من تصور محدد، تهدف إلى وصف موضوع محدد بحسب مستوى معين من مستويات التحليل اللغوي، ويميز في اللسانيات البنيوية بين نوعين من الإجراءات هما:

- إجراءات تحليلية تهدف إلى تحليل الموضوع في اللسانيات باعتباره بنية شاملة قصد الكشف عن شبكة العلاقات التي تربط بين العناصر المكونة لهذه البنية بحسب مستوى التحليل المنظور إليه (صواتة – صرافة – تركيب)، ويكون الإجراء تحليليا عندا ينطلق تنازليًّا للوصول إلى العناصر المكونة لهذا الكل، أي من الجملة إلى الصوتة (الفونيم).
- إجراءات تركيبية وتهتم بدراسة العناصر الأجزاء من أصغر وحدة صعودًا إلى أعلاه، أي من الصوتة إلى الجملة. (٢)

(١) البنيوية فلسفة قتل الإنسان قراءة في مقولة موت المؤلف – أ/ مغربي محمد رضا صـ ٣.

(٢) اللسانيات البنيوية – د/ مصطفى غلفان صـ ٢١.

ففي التحليل اللغوي للنص يتم التركيز على تقطيع العبارة اللغوية إلى علامات لغوية دالة وأخرى غير دالة معتمدًا مبدأ التدرج من الأعلى تركيبًا إلى الأدنى تركيبًا للحصول على الوحدات الأساسية المكونة للغة ثم البحث فيها لاستكشاف القواعد المنظمة لها والقوانين الداخلة في ضبطها، "فاللسان أداة تبليغ يتم وفقها تحليل التجربة البشرية – بكيفية مختلفة عند كل قوم – إلى وحدات ذات محتوى دلالي ومركب صوتي هو الكلمات، وإن المركب الصوتي يتقطع بدوره إلى وحدات متوالية متمايزة هي الصويتات وتكون بعدد محدود في كل لسان إلا أن طبيعتها وعلاقاتها المتبادلة تختلف أيضًا من لسان إلى لسان آخر". (١)

ومن هنا ندرك أن هذه النظرية قد عنيت بدراسة النظام اللغوي وعلاقة عناصره بعضها ببعض دراسة شكلية معزولة عن السياق الاجتماعي والثقافي الذي تستخدم فيه اللغة، فهي تعنى بالشكل أكثر من عنايتها بالمعنى، وبالتركيب أكثر من عنايتها بالسياق الذي يستخدم فيه هذا التركيب، وتميل إلى معالجة الجمل المصنوعة أكثر من معالجتها اللغة في صورتها الحية، فهي تدرس اللغة كنصوص مجردة لا نصوصًا مرتبطة بسياق أنشدت فيه. فقد "قسموا الجملة إلى نماذج من حيث شكلها الخارجي والترتيب الأفقي التتابعي للمفردات فيها بغض النظر عن المعنى النهائي الذي ينتج عن ذلك". (٢)

أما التحليل البنيوي للنص الأدبي فنجده يتصل باللغة اتصالا وثيقًا، فهو ينطلق من اللغة وتُطبق عليه، وهو مرتبط أساسًا باللسانيات؛ لأنها هي التي أتاحت للوعي أن يكشف خبايا اللغة الطبيعية، فاللغة هي المنشأ الأول للبنيوية

(١) مبادئ في اللسانيات العامة – أندريه مارتيني صـ ٢٤.

(٢) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة – د/ نايف خرما صـ ١١٥ ١٩٧٨م.

وهي بذلك فرع من الألسنية. فالمحلل البنيوي يقوم بدراسة جميع المستويات اللغوية – (الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية) – في نفسها أولًا، فهو – إذن – يرتكز على دراسة البنى الصغيرة التي تكون النص من داخل النص ذاته، في علاقاتها بعضها ببعض على أساس أن العلامة اللغوية ليست رمزًا لشيء خارجي، بل إنها تسبق الشيء الخارجي في حقيقة الأمر، ومن ثم يجب دراستها في عزلة عن دلالاتها المادية خارج النص، وهو ما يطلقون عليه النصية، أي الاعتقاد بأن كل شيء نص أو كتابة، فالعالم كله نص، فالذات الفاعلة ليست ذات قيمة بالنسبة لهم. (١)

(١) مقولة موت المؤلف وعلاقتها بنظرية النص عند رولان بارت رؤية نقدية صـ ٢١٥، ٢١٦.

المبحث الثاني

مدى صلاحية المنهج البنيوي للدراسات الإسلامية

ارتبطت البنيوية اللغوية عند علماء اللغة الغربيين ارتباطًا وثيقًا بما أطلقه البنيويون من شعار "موت المؤلف" وبدأ تركيزهم على النص ذاته بغض النظر عن المؤلف، أيًّا كان هذا المؤلف والعصر الذي ينتمي إليه والمعلومات المتصلة به، وقد كان البنيويون يقصدون بهذا الشعار "موت المؤلف" ألا تصبح البيانات المرتبطة بالمؤلف هي جوهر الدراسة النقدية للأدب أو تحليل النصوص اللغوية، أو هي نقطة الارتكاز الإستراتيجية الموجهة للعمل التحليلي النقدي، بل يجب أن تكون نقطة الارتكاز – عندهم – هي من النص ذاته. (١)

ولهذا قيل عن البنيوية عامة والبنيوية الأدبية أو الشكلية خاصة: "إنها فلسفة موت المؤلف؛ لأنها دعت إلى التركيز على لغة النص والقارئ معًا مع عزل المؤلف الذي لم تعد له سلطة تهيمن على معاني النص ودلالته. خلافًا للبنيوية التكوينية التي نشأت في ظل الفكر الماركسي الهيجلي من مناهج ما بعد البنيوية، والتي جاءت لتسد ثغرات البنيوية، وتجمع ما بين البعد الاجتماعي للنص الأدبي والبعد اللغوي، حيث أعادت للمبدع اعتباره فكانت منهجًا علميًّا موضوعيًّا يؤكد على العلاقات القائمة بين النتاج والمجموعة الاجتماعية التي ولد النتاج في أحضانها، وهذه العلاقات لا تتعلق بمضمون الحياة الاجتماعية والإبداع الأدبي، وإنما بالبنيات الذهنية Structures mentales التي هي ظواهر اجتماعية لا فردية". (٢)

---

(١) مناهج النقد المعاصر صـ ٩٨ بتصرف.

(٢) مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان التكوينية – د/ عادل اسعيدي المركز الجامعي تامنغست (الجزائر)، ود/ عبد القادر بختي المركز الجامعي تامنغست (الجزائر) – مجلة آفاق علمية – المجلد (١١) العدد (٤) السنة ٢٠١٩ صـ ٤٩٩: ٤٥٣ بتصرف.

وكان هذا المصطلح – (موت المؤلف) – الذي سيطر على بعض النقاد في التحليل الأدبي للنص اللغوي قد ولد في مناخ فلسفة النهايات والميتات المشتركة مثل فكرة موت الإله عند (نيتشه)، ونهاية التاريخ عند (فوكومايا)، ففكرة موت المؤلف ترتد إلى جذور فلسفية وفكرية ترتبط بالظروف الموضوعية التي عاشتها أوروبا بعد ثوراتها على الكنيسة، فقط أعلن الفيلسوف الوجودي (نيتشه) مقولة: (موت الإله)، ووجدت هذه المقولة صدى واسعًا في أوساط النقاد الأوربيين الذين يتوقون إلى تدمير الاتجاه الغيبي في تفسير النصوص وإفساح الطريق أمام ظهور الإنسان بكل مقدراته البشرية التي يدركها العقل وما عدا ذلك فهو مي،. بعدها انتقلت مقولة موت الإله إلى النقد الأدبي، فأعلن النقاد الغربيون وعلى رأسهم رولان بارت عن موت المؤلف.

ويؤكد (رولان بارت) الذي تبنى البنيوية منهجًا فيما أنجزه من درس سيمولوجي أن عددًا من النقاد الأوروبيين قد سبقوه إلى إعلان "موت المؤلف" وأن هذا المصطلح مسبوق إليه ولم يكن هو أول من أوجده فقد سبقه الأديب الفرنسي (مالارمي Mallarme) الذي كان من أوائل المتنبئين بضرورة إحلال اللغة ذاتها محل من كان مالكاً لها، فاللغة هي التي تتكلم وليس المؤلف، وكذلك أشار (بارت) إلى جهود (بول فاليري Valery) التي جاءت مكملة لآراء (مالارمي)؛ حيث كان (فاليري) يضع المؤلف موضع شك وسخرية مُلحًا على الطبيعة اللغوية والعفوية لعمل المؤلف، وأن أي لجوء إلى دواخل الكاتب خرافة. [1] فلا بد عنده من التركيز فقط على البنية اللغوية لعمل المؤلف وإقصائه هو عنها. وكذا قول (بول ريكو): "أحيانًا يطيب لي أن أقول إن قراءة كتاب ما هي إلا النظر إلى مؤلفه وكأنه قد مات... وبالفعل تصبح العلاقة مع

(١) درس السيمولوجيا صـ ٨٢: ٨٣ بتصرف.

الكتاب تامة وثابتة بشكل ما عندما يموت الكاتب". [١] لقد كان هذا الشعار (موت المؤلف) سببًا في انهيار البنيوية، ومع أن التفكيكية قامت على أنقاض البنيوية إلا أنها لم تتخل عن هذا الشعار، بل أضافت إليه موت النص نفسه.[٢]

إضافة إلى أنه – (موت المؤلف) – كان مطلبًا أساسًا لحركات سابقة كانت تطالب بعزل النص الأدبي عن مؤلفه مثل المدرسة الشكلانية، ومدرسة النقد الجديد والاكتشافات اللغوية الحديثة لأبي اللغويات الحديثة (فردينان دوسوسير) بعد استشراء القراءات الخارجية للنص الأدبي كالمنهج التاريخي، والماركسية، والمدرسة الفرويدية في التحليل النفسي. [٣]

وهذا المصطلح – (موت المؤلف) – شاع وذاع وانتشر بعد استعمال الناقد الفرنسي رولان بارت (R. Barthes) له، حيث استقى كثيرًا من مفاهيم دراساته النقدية والأدبية من جهود العالم اللغوي فردينان دوسوسير الذي كان يعتبره معلمه الأكبر، كما استقاها أيضًا من جهود الشكلانيين الروس.[٤] فقد كانت المدرسة الشكلانية الروسية السباقة إلى إقصاء المؤلف وعزله، حيث اهتمت بسطح العمل الأدبي، وبنيته، ولغته، ونحوه، دون مضمونه. [٥] ثم هي ترى أن العمل الأدبي يتجاوز نفسية مبدعه ويكتسب خلال عملية الموضعة

(١) العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص صـ ٧٠٠.

(٢) السابق نفسه.

(٣) تحليل مقالة "موت المؤلف" لرولان بارت: إضاءة محفزاتها وآثارها الإيجابية في فتح النصوص للقراءات الحرة – د/ سعاد عبد الله العنزي صـ ٤.

(٣) موت المؤلف بين النظرية والتطبيق في النقد البنيوي المعاصر – د/ خالد سليمان – مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية المجلد (١١)، العددان (١و٢) ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م صـ ٩١.

(٣) تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية (دراسة في نقد النقد) صـ ١٩.

الفنية وجوده الخاص المستقل. وتؤكد أن العمل الفني لا يتطابق بشكل كامل مع الهيكل العقلي للمؤلف ولا المتلقي أو كما يقول موخاروفسكي: "فإن الأنا الشاعر لا ينطبق على أية شخصية فعلية ملموسة ولا حتى شخصية المؤلف نفسه، إنه محور تركيب القصيدة الموضوع. وهكذا ابتدأت الشكلية الروسية من دعوتها إلى استقلال الكلمة الشعرية كشيء قائم بذاته، وانتهت إلى استقلال العمل الأدبي عن نفسية مؤلفه من ناحية، وعن الموضوع الاجتماعي الذي يشير إليه بأدواته وإجراءاته الخاصة من ناحية أخرى". (١)

وقد أعلن "رولان بارت" الذي كان يؤمن بأن البنيوية الفرنسية كانت امتدادًا للشكلانية الروسية عن موت المؤلف، فقد "هاجم الشكلانيون الرأي القائل بأن الأدب فيض من روح المؤلف أو وثيقة تاريخية اجتماعية أو تجلي لمنظومة فلسفية ما". (٢) حيث يرى (بارت) أن وجود المؤلف يحول دون تحقيق لا نهائية المعنى ويظل النص متحجرًا عند أفكار المؤلف وأبعاده الدلالية التي يريد طرحها وقال مقولته الشهيرة: "إن ميلاد القارئ يجب أن يكون على حساب موت المؤلف"، وعُدَّ هذا تحولا وانكسارًا لمركزية المؤلف، أو سلطة المؤلف، وانتقالها لمركزية النص، أو سلطة النص على أيدي البنيويين، فجاءت أفكار بارت، وفوكو؛ لتلغي وتقصي سلطة المؤلف التي ظل يتمتع بها مدة طويلة. (٣) بل إن "رولان بارت" قد عقد عنوانًا بهذا المصطلح "موت المؤلف" في كتابه

(١) إشكالية موت المؤلف من المرجعية الفكرية إلى التأسيس النظري – د/ بصير نور الدين – مجلة المعيار/ جامعة بو حسيبة بن بو علي الشلف / الجزائر – العدد (٤٤) سنة ٢٠١٨ صـ ٢٧٨.

(٢) المدرسة الشكلانية الروسية – بيتر شتاينر – ترجمة/ خيري دومة، ضمن موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، ج ٨، القاهرة، المركز القومي للترجمة 2006، صـ ٣٣.

(٣) السابق صـ ٢٧٧.

الموسوم بـ (هسهسة اللغة) [١] وكذا كتابه الآخر الموسوم بـ (درس السيمولوجيا)[٢] وقد دعا فيهما إلى ضرورة عدم الالتفات إلى حضور المؤلف؛ لأن دوره ما إن ينتهي من كتابة العمل فإن دوره ينتهي ويبدأ دور القارئ في عمله بقراءة النص، وقد نص على ذلك صراحة حيث قال: "إن النص من الآن فصاعدا على كافة مستوياته وبجميع أدواته منذ صناعته وحتى قراءته، يظهر بشكل يغيب فيه المؤلف غيابًا كاملا". [٣]

فاللغة عند (رولان بارت) هي التي تتكلم داخل العمل سواء كان العمل أدبًيا أو غيره وليس المؤلف، واللغة عنده وحدها هي تعمل بمعنى تؤدي وليس "أنا". مما يعني انحسار سلطة المؤلف لتحل محلها اللغة، ومعنى ذلك أن المؤلف ليس هو من يبدع، بل اللغة هي تفعل ذلك. ووحدة النص عنده لا تستمد وجودها من أصله – المؤلف – بل من النهاية التي ينتهي إليها وهي القارئ، وبهذا المفهوم صارت اللغة المنطلق الرئيس لأغلب الفلسفات المعاصرة ومنها البنيوية. خلافًا لما هو متعارف عليه منذ أمد بعيد من أن القارئ كان يؤمن أن العمل الأدبي وليد الحياة الإبداعية لمؤلفه، وأن النص الأدبي تعبير عن ذات صاحبه، إلا أن البنيوية نجدها قد فصلت بين النص ومؤلفه. فـ (رولان بارت) يقصد بـ (موت المؤلف) المعنى الحقيقي، أي المعنى الظاهر للكلمة وأن النص مالك لقارئه لا لمؤلفه الذي يجب في نظره أن يتوارى وأن

(١) هسهسة اللغة – رولان بارت – ترجمة د/ منذر عياشي صـ ٧٥.

(٢) درس السيمولوجيا – رولان بارت – ترجمة / عبد السلام بنعبد العالي صـ ٨١.

(٣) لذة النص – رولان بارت – ترجمة/ منذر عياشي صـ ٧١ ، نقلا عن: منزلقات تطبيق نظرية موت المؤلف على الخطاب القرآني المقدس – د/ جوهرة شتيوي بو حبيبة – المركز الجامعي بو الصوف، ميلة صـ ١٧٩.

يغيب عن الوجود، فـ "ميلاد القارئ عنده رهين بموت المؤلف". [١] وليس كما زعم عبد الله الغذامي أنه يقصد تحرير النص من سلطة المؤلف حيث قال في مقدمة ترجمة كتاب (نقد وحقيقة) عن مقولة موت المؤلف: "هي مقالة لا تعني ظاهر معناها اللغوي، وهي لا تعني إلغاء المؤلف وحذفه من ذاكرة الثقافة. إنها تعني تحرير النص من سلطة الظرف المتمثل بالأب المهيمن (المؤلف)، إنها تفتح النص على القارئ بما أن القارئ هدف أولي للنص، وتزيح المؤلف مؤقتا إلى أن يمتلئ النص بقارئه، والقارئ بالنص ثم يصار بعد ذلك إلى استدعاء المؤلف ليحضر حفلة زفاف النص إلى قارئه ليبارك هذه العلاقة الجديدة...وموت المؤلف ليس إذن فناءه ولا نهايته، بل هو – فحسب – ترقيع للنص عن شروط الظرفية وقيودها". [٢]

والحق أن هذه المقولة (موت المؤلف) تكتسب قيمتها التاريخية من عدة نواح. أولا: أنها مقولة تختزل في مضمونها المشروع البنيوي كلية. ثانيا: أنها مقولة كاشفة لفهم ماذا تعني سلطة النص وقيمته في التاريخ والتجربة الإنسانية. ثالثا: أنها مقولة تعيد إنتاج القراءة وهدفها ووظيفتها. [٣]

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن (رولان بارت) قد استفاد من جذور وخلفيات ارتكز عليها، أهمها: الاتجاه البنيوي، وجهود العالم اللغوي السويسري (فرديناند دوسوسير) الذي "اعتبر اللغة نسقًا لسانيًّا منغلقًا على نفسه، لا يفسر معناه إلا من خلال العودة إلى هذا النظام، دون اللجوء إلى السياق الخارجي بما فيه مبدع اللغة ذاته، فالمؤلف هو أداة للعناصر وليس مبدعًا لها من حيث

(١) درس السيمولوجيا صـ ٨٧.

(٢) نقد وحقيقة – رولان بارت – ترجمة/ منذر عياش صـ ١٠: ١١.

(٣) مقولة موت المؤلف وعلاقتها بنظرية النص عند رولان بارت رؤية نقدية – د/ ألفت عبد الحميد حسانين شافع صـ ٢٠٠.

هو الذي ينشئ هذا النظام. ومؤدى هذا القول أن المؤلف نفسه عنصر من عناصر اللعبة التي تم تحديدها مسبقًا بواسطة النظام، حينها تبدو مقولة (موت المؤلف) مشروعًا في البنيوية انطلاقًا من الاعتقاد بأن النظام قائم بذاته ولا يحتاج إلى أية عناصر خارجية تفسره، والمؤلف في النظام البنيوي مفعول العناصر التي تكون النظام وليس فاعلها". (١) فالكاتب والكتاب عنده ليسا سوى منطلق لتحليل اللّغة؛ ولا مكن أن يقوم علم دانتيي، أو شكسبيري، أو راسيني، ولكن مكن أن يقوم علم للخطاب فقط. (٢) كما كان (بارت) يرى أنه لا بد من تحديد الوحدات حيث يقول: "يجب البدء أولا بتقطيع القصة وتعيين مواضع الخطاب السردي الذي نستطيع أن نوزعه على عدد صغير من الطبقات، فكل نظام يتكون من وحدات ذات طبقات معروفة، وإننا نقول باختصار يجب تحديد أصغر وحدات السرد". (٣) فأول المفاهيم التي تزود بها اللّسانيات التحليل البنيوي السردي للقصص مفهوم مستوى الوصف، وهذا الوصف يتضمن عدة مستويات: صوتيًا، وصوتميًا، وقاعديًا، وسياقيًا، وهذه المستويات تدخل في علاقة تراتبية، والسبب في ذلك أنه إذا كان لكل مستوى وحداته الخاصة وعلاقاته المتبادلة الفريدة، ويفرض على كل واحد منها وصفًا مستقلا، فيجب أن ندرك أن أي مستوى منها لا يستطيع أن ينتج المعنى بمفرده. (٤) كذا كان (دوسوسير) قبله ينظر إلى النص باعتباره شبكة من عناصر الاتصال اللغوية،

(١) البنيوية فلسفة قتل الإنسان قراءة في مقولة موت المؤلف – أ/ مغربي محمد رضا صـ ٤.

(٢) نقد وحقيقة – رولان بارت صـ ٩٦.

(٣) مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص – رولان بارت – ترجمة/ منذر عياش صـ ٣٩.

(٤) مقاربات تحليل الخطاب في المدرسة اللسانية الفرنسية (مفهوم سلطة الخطاب عند بارت فوكو مانغونو أنموذجا) – د/ راضية واكي – ضمن أعمال ملتقى الوطني الأول (تحليل الخطاب بين المداخل اللغوية والمناهج النقدية) – جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر ٥ نوفمبر ٢٠١٨م صـ ٢٩٢.

ولذلك فإن خير وسيلة لمقاربة هذا النص هي الانطلاق من مصدره اللغوي أي من بنيته الداخلية لا من مصدره وهو المؤلف بهدف استكشاف الأنظمة أو العلاقات التي تشكل دلالاته، بمعنى أن حركة التحليل البنيوي نتيجة من داخل النص إلى خارجه، وليس من خارجه المتمثل: في المؤلف، السياق، العصر أي الزمان، البيئة. (١) وقد اتضح أثر دوسوسير على بارت في "أنه تتبع خطى دوسوسير وأفكاره عن العلامة والثنائيات المتضادة، فهو يرى منذ بدايته المبكرة باستقلال الواقع اللغوي عن الواقع الخارجي؛ لأن اللغة ليست أداة شفافة لنقل الأفكار". (٢)

فـ (بارت) ومن سار على نهجه من البنيويين قد عملوا على تحليل العمل الإبداعي لغويًّا وحرصوا على فك رموزه والعلاقات المتكونة منه، واعتمدوا في ممارستهم النقدية هذه على علوم اللغة التي خلص إليها العالم السويسري دوسوسير، فاتخذت البنيوية ومنها بارت اللغة أساسًا لها ومرتكزًا لقيامها.

كما استفاد من المدرسة الشكلانية الروسية التي ظهرت في روسيا بين عامي (١٩١٥ – 1930) وقد دعت إلى الاهتمام بالعلاقات الداخلية للنص الأدبي واعتبرت الأدب نظامًا ألسنيًّا ذا وسائط إشارية (سيميولوجية) للواقع، وليس انعكاسًا للواقع، واستبعدت علاقة الأدب بالأفكار والفلسفة والمجتمع. وقد طورت البنيوية بعض الفروض التي جاء بها الشكليون الروس. (٣) ومن هذا المنطلق فقد هاجم الشكلانيون الروس الرأي القائل بأن الأدب فيض من روح

(١) مشكاة المفاهيم – محمد مفتاح صـ ١٧٣.

(٢) مقولة موت المؤلف وعلاقتها بنظرية النص عند رولان بارت رؤية نقدية – د/ ألفت عبد الحميد حسانين شافع صـ ٢٠٨، ٢٠٩.

(٣) تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية دراسة في نقد النقد – د/ محمد عزام صـ ١٣.

المؤلف، أو أنّه وثيقة تاريخية اجتماعية، فقد دعوا إلى استبعاد جميع المظاهر الخارجية، وقد كانت هذه المدرسة تقاوم النزوع الأيديولوجي الذي صاحب وأعقب الثورة الاشتراكية؛ لذلك ركزت هذه المدرسة مفاهيمها على دراسة الشكل الأدبي ودلالته وكانت تحليلاتها لمفهوم الشكل قريبة جدًا من مفهوم البنية. (١) وعليه فقد نادوا بضرورة النظر إلى المفهوم الجمالي للنصوص اللغوية أو الأدبية؛ أي الشكل وعدم الالتفات إلى أية مضامين أو مفاهيم أو أخلاقيات أو معتقدات وهذا قريب جدًا من مفهوم البنية.

كما استفاد من مقولة موت الإله لـ (نيتشه)، وغيرها من الأصول الفلسفية والفكرية والأدبية والنقدية. (٢) كما سبق أن ذكرت. ومن هنا "كانت البنيوية من أبرز الفلسفات التي أعلنت موت الإنسان". (٣) ومع ذلك لم تكن يومًا ما مذهبًا فلسفيًّا بأي حال من الأحوال، لكنها كانت منهجًا لغويًّا في تحليل النصوص، بدأ بعلم اللغة ثم اتسع ليشمل مجالات عديدة كعلم النفس وعلوم الاجتماع وغيرهما من العلوم الأخرى، وقد ارتبط هذا المنهج بالفكر الفلسفي السائد في أوربا آنذاك فظهر أثره في تحليل النصوص أو في تبني بعض المقولات أو الفلسفات لتطبيقها على تحليل النصوص؛ لذا قلما خلت من أبعاد فلسفية في التحليل، ومن أبرز مظاهر الارتباط بين لسانيات سوسير والبيئة الفلسفية التي نشأت فيها يمكن أن يظهر في العلامة، والعلامة اللغوية والرمزية بالذات، فلقد كانت الكلمة المفردة ممثلة لشيء محدد في الواقع الخارجي داخل رؤية جزئية، فأصبحت اللغة عبارة عن تراكيب وأنساق من مفردات لغوية ترمز لعمليات ذهنية في إطار رؤية سياقية. إنه تطور يعبر عن ابتعاد تدريجي عن

(١) مناهج النقد المعاصر – د/ صلاح فضل صـ ١٧.

(٢) ينظر: منزلقات تطبيق نظرية موت المؤلف على الخطاب القرآني المقدس صـ ١٨٠.

(٣) ينظر: السابق صـ ١٨٠، والعلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص صـ ٦٩٨.

الوضوح والشفافية الأولى التي كانت تتميز بها اللغة كما منحها الله – ﷻ – للبشر. ولم يقف الأمر عن حد الابتعاد عن الوضوح، وإنما تحول فيما بعد على يد شتراوس، وجاكبسون، ورولان بارت، وميشال فوكو إلى ألغاز وشفرات، وتطور مفهوم العلامة إلى رمزية معقدة لا يمكن أن تعني شيئا، ولكنها يمكن أن تعني كل شيء. (١) وعلى هذا فليست البنيوية – إذن – مذهبا فلسفيا ينبثق عن مدرسة فكرية واحدة ويمكن أن يقارن بالمذاهب الوجودية أو الماركسية، وإنما هي منهج في العلم وهذا ما أكده جان لا كروا حيث قال: "ليس ثمة مذهب بنائي ... بل إن هناك – وهذا أمر له مغزى أعمق ودلالة أكبر – لقاء ذهنيا بصفة عامة، ومنجيا بصفة خاصة، بين مفكرين يعيشون معا عصرا واحد بعينه، ألا وهو عصر انتهاء الأيدولوجيات، وربما أيضا عصر انتهاء النزعة الإنسانية من حيث هي صورة من صور الإيدولوجيا". (٢) ومن هنا يمكن القول: إن البنيوية عند بعضهم هي عبارة عن: "رؤية، وطريقة، ومنهج ثوري ضد الجمود، والخمول الفكري، والقول ثوري هنا لا يعني تغيير المادة، الأشياء كاللغة، والمجتمع، والأدب، بقدر ما هو تغيير للفكر الذي يتعامل مع هذه العناصر". (٣)

فالتحليل البنائي عند دعاة البنيوية يجب أن ينصب أساسًا على الدراسة الحالة للموضوع، وهذه الدراسة الحالة أو المحايثة تفترض استقلال الموضوع بالنسبة لملابساته التاريخية والجغرافية أو الوجودية؛ لأنه نسق ديناميكي يخضع

(١) العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص صـ ٦٨٩.

(٢) البنيوية بين العلم والفلسفة صـ ١٣٤.

(٣) النظريات اللسانية الحديثة وتحليل الخطاب – د/ عيسى بو فسيو – ضمن أعمال ملتقى الوطني الأول (تحليل الخطاب بين المداخل اللغوية والمناهج النقدية) – جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر ٥ نوفمبر ٢٠١٨م صـ ١٦١.

لسلسة من التغيرات الباطنة دون تدخل أية عوامل خارجية، وقد كان الحلم الأكبر للكثير من البنائيين هو تثبيت البناءات فوق دعائم لا زمانية شبيهة بدعائم الأنظمة المنطقية الرياضية. (١)

ومن ثم فإن البنيوية قد اشتهرت بخاصتين اثنتين:

١. تنظر إلى النصوص على أنها تظل دائمًا قابلة للتفسير، وتنظر إلى التفسير والقراءة على أنه عملية مستمرة لا تكتمل الاكتمال النهائي أبدًا.
٢. تنظر إلى المفسر أو القارئ بأنه يسهم في إنتاج المعنى؛ لذلك فالبنيوية تذهب إلى عدم وجود قراءة أو تفسيرات بريئة لأي نص من النصوص، حيث إن القراءة أو التفسير يفترض أنها عملية إنتاج جديدة. (٢)

لكن هذه الدراسات البنائية بهذه الكيفية كان لا بد لها من انتقاد لا سيما عند أصحاب النزعة الإنسانية أو أصحاب المنهج التاريخي في تحليل النصوص ودراستها، فهذا المنهج البنائي الذي نهجه وسار عليه (رولان بارت) وغيره من علماء الغرب أو من تأثر ببهم من المتغربين العرب في العصر الحديث انتقده بعض علماء الغرب أنفسهم، حيث اعتبر جورج لوكاش G. Lukacs (1885– 1971)، على سبيل المثال، أن الأدب انعكاس للحياة أو الواقع في السياق الاجتماعي والتاريخي. (٣) أما أوغسطين سانت بوف A. S. Beuve (1804– 1869) فقد ذهب إلى أن "الهدف الرئيس للنقد الفني هو أن تكشف عن الإنسان وراء العمل. والمعيار الأساسي لتقييم

(١) البنيوية بين العلم والفلسفة صـ ٩.

(٢) القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب صـ ٢٢.

(٣) النظرية الأدبية المعاصرة – رامان سلدن – ترجمة د/ جابر عصفور صـ ٧٦.

العمل هو الدقة والصدق اللذان يحول بهما الكاتب حياته الشخصية إلى شكل أدبي". (١)

وكذا حاول بعض المستشرقين تطبيق هذا المنهج البنيوي على القرآن الكريم عن طريق تقسيم الوحدات الكبرى كالسورة أو الأقسام منها إلى وحدات أصغر محددة جيدًا؛ سعيًا إلى ربط الأجزاء بالكل من ناحية، ونزع النص من سياقه وتحليله وفق معتقدات القارئ الأيدولوجية أو السياسية أو الاجتماعية من ناحية ثانية، فقد حظيت بعض الآيات القرآنية باهتمام بعض المستشرقين أمثال البريطاني (ريتشارد بيل Richard Bell 1876 ، 1952) وهو من رجال الدين وأستاذ اللغة العربية بجامعة أدنبرة، وغابريال سعيد رينولدز (Gabriel Said Reynolds) أستاذ الدراسات الإسلامية واللاهوت في جامعة نوتردام، وغيرهما. ففسروا الآيات القرآنية وحللوا مضامينها ضمن رؤى وتوجهات خاصة. (٢) ومن ذلك تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (٣) حيث تأثّرت تفاسيرهم لهاتين الآيتين بعقيدتهم هذه – (أي أن المسيح قد صلب وقد قتل) – لدرجة أن بعضهم حاول إثباتها بأي ذريعة كانت حتى وإن اضطر إلى طرح تفسير غريب وجديد من نوعه للنص القرآني، بينما بادر بعضهم إلى تفسيرهما في رحاب رؤية دينية مشتركة. فمنهم من سلط

(١) بارت – فيليب ثودي – ترجمة/ جمال الجزيري صـ ١١٨.

(٢) ينظر تفصيل ذلك في: النص القرآني (التفسير الإشراقي للنص القرآني في النصف الثاني من القرن العشرين) صـ ٣٧.

(٣) سورة النساء الآيتان (١٥٧، ١٥٨).

الضوء على بعض عباراتها استنادا إلى فرضيات خاصة، وبعضهم ادعى أنهما تدلان على تأريخ عملية الصلب، في حين منهم من رفض هذا الرأي وزعم أن مضمونها مستوحى من المعتقدات الغنوصية، وعدد منهم استنتج من ألفاظها كون المسيح عيسى – عليه السلام – ليس حيًّا كما يعتقد المسلمون، وبعضهم حللها وفق تعاليم الديانة المسيحية متجاهلين التفاسير الإسلامية، وفسرهما بعضهم وفق توجهات سياسية واجتماعية، ولا نلمس في تفسير المستشرقين لهاتين الآيتين أي تأييد للآراء الشائعة بين المفسرين المسلمين، فهم تأثروا في تفسيرهم لهما بما يكتنف أذهانهم من معلومات ومعتقدات وطباع متأصلة فيها. (١)

ومن هؤلاء أيضا المستشرقة الألمانية أنجيليكا نويفرت (Angelika Neuwirth) حيث تبنت تطبيق المنهج البنيوي على النص القرآني في كتابها الموسوم بـ (دراسات حول تركيب السور المكية) وهو عبارةٌ عن أطروحةِ دكتوراه ناقشتها الباحثة بجامعة غوتنغن سنة ١٩٧٢م كُتِبت في الأصل باللغة الألمانية، ولم تترجم إلى أي لغة أخرى إلى حدود اليوم، باستثناء بعض ملخصاتها التي نشرتها الباحثة باللغة الإنجليزية في موسوعة القرآن. وقد "حددت من خلاله الاختلافات في بنية السورة وفي استخدام عناصر بلاغية بعينها تربطها بالفترة الزمنية (المكية المتقدمة أو الوسطى أو المتأخرة، أو المدنية) التي تؤمن بأن السورة تشكلت في أثنائها... فهي تبحث أقسام الآيات، والقوافي في السور المكية وتغيرها بمرور الوقت، وبنية الآية، وبنية السورة، ولهجة الكلمة وأدائها...." (٢) وتتمثل المعايير التي اقترحتها لتحديد البنية والعناصر التركيبية فيما يأتي: ١– القافية. ٢– بنية وطول الآية. ٣–

(١) النص القرآني (التفسير الإشراقي للنص القرآني في النصف الثاني من القرن العشرين) صـ ٣٧: ٣٩ بتصرف.

(٢) ينظر التفصيل: مساءلة التفسير البنيوي للقرآن صـ ١٥: ٣٠.

السمات الأسلوبية. ٤- اللغة الخاصة. ٥- تغير الصوت أو الموضوع. ٦- الترابط الممكن بين أيٍّ من المعايير المذكورة.

فالتحليل البنيوي الذي تقدمه نويفرت يعالج القرآن بوصفه وثيقة دون النظر إلى الملابسات التي نشأت في ظلها. (١)

لكن من المستشرقين أنفسهم من رأى عدم قدرة هذا المنهج البنيوي على تحليل النص القرآني بسبب عزل النص عن قائله، وكذلك عزل النص عن سياقاته أو ملابساته الاجتماعية والتاريخية والثقافية، وكذلك فشل البنية الكبرى في المنهج البنيوي في تحديد القضية الكبرى في النص. فقد وجهت (رايتشل فريدمان Rachelle Friedman) وهي باحثة أمريكية درست في جامعة كارولينا الشرقية نقدًا لـ (أنجيلكيا نويفرت) بينت من خلاله عدم صلاحية المنهج البنيوي في تحليل السور والآيات القرآنية حيث ذكرت: "أن التعريف البنيوي ينطوي على تفسير المضمون تترتب عليه آثار مهمة، فمحاولة تقسيم آيات السورة إلى مجموعات متماسكة وذات دلالة إنما هي في الأصل اجتهاد لتحديد الشاغل (المحوري) لتلك الآيات، وهذا يعد اختزالا لمحتوى الآيات إلى مبحث أو موضوع أساسي واحد، وحدود تلك المجموعات التي تميز هذه الآيات عن المقاطع المجاورة في السورة من شأنها حسب المنطق البنيوي أن تشير إلى نهاية هذا الموضوع تحديدًا، وهنا يحدث الفصل بين الأقسام بفضل الاختلاف الجوهري في مضمون الآيات فيكون إذن للقسم التالي من السورة موضوع أو مبحث مختلف ... على أي حال لا يمكن لانسياب اللغة القرآنية في هذا السياق، وفي المطلق أيضًا أن يسمح بهذا التحديد، إذ لا تنفصل الأقسام التي يمكننا تحديدها في أي سورة بعضها عن بعض كليًّا، وتبقى مرتبطة بعضها

(١) ينظر التفصيل: السابق صـ ٤٠.

ببعض... ولا يفترض هذا المنهج أن القرآن ليس معقولا في صورته النصية فحسب، بل كذلك يرى أن المعقولية لا تأتي إلا بتطبيق وحدات بنائية متماسكة ظاهريًا. وتعد محاولة تحديد جوهر المعقولية في أي نص إيماني مخاطرة أنطولوجية، ولا يمكننا أن نبنيها على مبادئ مثبتة، فالقارئ يفرض على قراءته كل قيود العقل البشري... ولماذا يجب علينا أن نقصر المعنى وفقًا للمعقولية العقلية الإنسانية، ونعتقد بأننا كشفنا الأساس الجوهري لفهم شيء يعرّفُ نفسَه بأنه ذو أصول إلهية". (١) فقد رفضت فريدمان هذا التحليل البنيوي الذي قدمته نويفرت وشككت فيه، وفي قدرة هذا المنهج من الدراسة القرآنية على تقديم رؤية للمعاني التي يحملها القرآن. (٢)

ولكن مع ذلك ورغم رفض بعض الباحثين الغربين أمثال (رايتشل فريدمان) لقدرة المنهج البنيوي على تحليل النص القرآني، وبعد أفول هذا المنهج البنيوي في منبعه الأصيل وهو الغرب – حيث لفظت أنفاسها الأخيرة في فرنسا والعالم الغربي عمومًا في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات تقريبًا، بل إن تلك النهاية قد بدأت بعد محاضرة (جاك دريدا) التي ألقاها في مؤتمر جونز هوبكنز مفسحة بذلك البنيوية المجال للتفكيكية. (٣) ففي سنة ١٩٦٧م انهارت البنيوية حيث بدأت بعض الشخصيات المهمة تبتعد عن الإطار الفكري البنيوي وراحت تتعامل معه وكأنه ليس إطارًا جديًّا ... فتغيرت نبرة الكتابة البنيوية الجديدة بسرعة كما تغير موقفها .... والواقع أن تغيرًا في أسلوب المعرفة قد حصل .... (٤) لقد انقرضت البنيوية وبقيت اللفظة في مصطلحات المدارس

(١) ينظر: السابق صـ ٣٢: ٣٦.

(٢) ينظر: السابق صـ ٥٣.

(٣) ينظر: البنيوية النشأة والمفهوم (عرض ونقد) صـ ٢٣٥، ٢٣٦.

(٤) ينظر: بؤس البنيوية صـ ١٦٦ وما بعدها.

فقط، وينظر إليها بوصفها من بقايا نظرية بالية. [١] لكن هذا النقد التقويضي للبنيوية عند الغرب لم يؤثر على تبني العرب للبنيوية حتى بعد عشرين عامًا من صدوره. [٢] – فقد وصلت البنيوية إلى الحقل الثقافي النقدي العربي متأخرة بعشر سنوات، والنصف الثاني من السبعينات هو الذي شهد احتفال الحقل الثقافي النقدي العربي بالبنيوية، هذا الاحتفال الذي يترافق مع انحسار البنيوية في الغرب وتمهيدها لما بعد البنيويات. [٣] وكان استقبالها في الساحة العربية عبر الثقافة والترجمة والتبادل الثقافي والتعلم في جامعات أوروبا، وكانت بداية تمظهر البنيوية في عالمنا العربي في شكل كتب مترجمة ومؤلفات تعريفية للبنيوية. [٤]

فالاستعمار تارة، والابتعاث إلى الغرب تارة ثانية، والاستشراق تارة ثالثة كان سبب وصول البنيوية التي أفلت وانهارت سريعًا في بلادهم؛ لعدم واقعيتها أو جدواها إلى العرب حتى أصبحت بعد ذلك منهجًا متبعًا عند بعض العلماء العرب وطبقوه في دراساتهم وأبحاثهم ونقدهم للنصوص الأدبية بل وفي رسائلهم الجامعية أيضًا؛ مما فتح الباب نحو الباحثين ليحمل منهم النصوص من خلال المنهج البنيوي ما لا تحتمله في الأصل بدعوى الحداثة والتطور والانفتاح على الثقافات الأخرى والمناداة بضرورة تطبيقها على لغتنا العربية وعلى نصوصها اللغوية عامة والقرآن الكريم خاصة. ومن هنا فقد ظهر اتجاه جديد في العالم العربي والإسلامي في نقد التراث يزعم أن تطبيقه للمناهج الحديثة (منها البنيوية والتفكيكية) يصل بها إلى نتائج جديدة وتفسيرات مبتكرة للنصوص، وجعلوا

(١) قضية البنيوية دراسة ونماذج صـ ١٧٦.

(٢) ينظر: البنيوية النشأة والمفهوم (عرض ونقد) صـ ٢٣٥، ٢٣٦.

(٣) قضية البنيوية دراسة ونماذج صـ ١٧٤.

(٤) البنيوية بين النشأة والتأسيس (دراسة نظرية) – ثامر إبراهيم محمد المصاروة صـ ١٦

القرآن الكريم بمثابة نص شعري أو نص نثري يطبقون عليه المناهج الحداثية التي أسسها الغرب وعملوا بقواعدها في التلقي التي تجعل من النص محكومًا بوعي القارئ. فيدمج الفكر الإنساني بالنص الديني الإسلامي، بحيث يفسره بما يراه مناسبًا، ويهدف من ذلك استخراج ما يسميه النقاد البنيويون باللامفكر فيه أو المستحيل التفكير فيه في المجتمعات العربية.

وهو نفس ما دعا إليه (طه حسين) الذي تأثر بـ (مرجليوث) في كثير من أفكاره الغريبة الغريبة والبعيدة كل البعد عن المنطق وعن الواقع، بل وأبدى إعجابه بالحضارة الغربية خيرها وشرها ومن ذلك أنه كان يقول – كما هو شائع عند الغرب – ببشريَّةِ القرآن، بل كان يحث طلاب الأدب العربي على نقد القرآن الكريم وإبداء ملاحظاتهم عليه حسب المعايير البشرية فقال: "ليس القرآن إلا كتابًا ككل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجري عليه ما يجري عليها، والعلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر عن قداسته التي تتصورونها، وأن تعتبروه كتابًا عاديًّا فتقولوا فيه كلمتكم، ويجب أن يختص كل واحد منكم بنقد شيء من هذا الكتاب، ويبين ما يأخذ عليه من الوجهات اللفظية والمعنوية والتفكيرية". (١) ويقول: "لا شك أن الباحث الناقد والمفكر الحُرَّ الذي لا يُفرِّقُ في نقده بين القرآن وبين أي كتاب أدبيٍّ آخَرَ، حيث يلاحِظُ أن في القرآن أسلوبين متعارضيْن لا يربط الأولَ بالثاني صلة ولا علاقة، مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن

(١) وَا مُحَمَّدَاهُ {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} – أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني ٢/ ٣٣٧ – دار العفاني، مصر – الطبعة/الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، وعودة الحجاب – محمد أحمد إسماعيل المقدم ١/ ١٨٠ – دار طيبة – الطبعة/ العاشرة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، والمنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني دراسة تحليلية نقدية – أطروحة ماجستير في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في قطر يناير 2017 محمد عبد الرحيم طحان صـ ٩٢.

هذا الكتابَ قد خضع لظروف مختلفة وتأثير بيئات متباينة". [١] مع أن هذا مخالف لمنهجه في دراسة النصوص الأدبية حيث كان يقول: "لا يكون الأدب أدبًا حتى يصور حياة الناس، وليس في الأرض أدب إلا وهو يصور حياة أصحابه (مؤلفيه)، فكل أدب في أي أمة لا بد أن يصور واقعها وشعورها وذوقها وثقافتها وأنماط تفكيرها وهو في النهاية انعكاس صور الحياة في نفوسها". [٢]

كذا دعا الجزائري الأصل الفرنسي الفكر والثقافة (محمد أركون **1928 2010** – الذي كان يؤمن بعدم الفصل بين الحضارات شرقية وغربية إلى الأخذ باللسانيات البنيوية الغربية والاستفادة منها حيث كان يريد إخضاع النص القرآني لحقول ومناهج ونظريات غربية حديثة انطلاقًا من منظور علماني لا يرى ثمة فرق بين الأديان الوثنية وأديان الوحي، ومن هذه المناهج والنظرية الغربية التي تبناها محاولة تطبيق الفكر البنيوي البارتي في فهم كتاب الله، وطالب بطرح المنطق اللغوي في فهم النصوص – (القرآنية) – وترك علوم اللسان العربي للبحث في بنية الكلام القرآني. قال: "ينبغي القيام بتحليل بنيوي لتبيين كيف أن القرآن ينجز أو يبلور بنفس طريقة الفكر الأسطوري الذي يشتغل على أساطير قديمة متبعثرة". [٣] وكذا قوله: "لبلوغ المعنى يتعين علينا التخلي هنا عن كل قراءة خطية تعطي الأولوية للفهم المعتاد والمنطق النحوي، فحتى لو رتبنا الآيات وفق التصنيف المعجمي – كما فعل محمد فؤاد عبد الباقي – فإنه سيظل مطروحًا علينا بالضرورة تجاوز النظام البلاغي لاكتشاف نظام أكثر أهمية هو النظام البنيوي". وهدف الكاتب من طرح المنطق اللغوي

(١) وَا مُحَمَّدَاهُ {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} ٢/ ٣٣٧ ٩٢.

(٢) تجديد ذكرى أبى العلاء– د/ طه حسين صـ ٢٢.

(٣) ينظر: الفكر الإسلامي قراءة علمية – محمد أركون – ترجمة/ هاشم صالح صـ ٢٠٣.

هو إحلال تصوره الذي مؤداه: أنه يجب علينا الأخذ بالتفسير الرمزي حسبما يقتضيه مطلق اللغة والمقتضى من معنى الكلام. (١) وكذا قوله عن كتاب الله: "إنَّ القرآن – كما الأناجيل – ليس إلاَّ مجازاتٌ عالية تتكلَّم عنِ الوضع البشَري، وهذه المجازات لا يُمكِن أن تكونَ قانونًا واضحًا، أمَّا الوهمُ الكبير فهو اعتقادُ الناس – اعتقاد الملايين – بإمكانية تحويلِ هذه التعابير المجازية إلى قانون شغَّال وفعَّال، ومبادئ محدودة تُطبَّق على كلِّ الحالات وفي كلِّ الظروف". (٢) فـ (أركون) أراد بذلك تجريد القرآن الكريم من القدسية وجعله ضمن البشري، ولم يقم بتمييزه عن التوراة والإنجيل اللذين أصابهما الحذف والإضافة والتحريف، وأنه ستطبق عليه مناهج التحليل الألسني والأدبي التي تم اعتمادها في النصوص المكتوبة. (٣) فـ محمد أركون في تحليله للخطاب القرآني يعمد إلى التعامل مع نصوص الوحي الإلهي المتمثل في القرآن الكريم بمثل تعامله مع سائر نتاج التراث البشري، ويعتمد في هذا التحليل على المنهج البنيوي الذي يدرس النصّ في ذاته بعيدًا عن قائله، وبعيدًا عما يدور خارجه باعتباره بنية مستقلة بعيدة عن الفهم المعتاد أو منطق التركيب النحوي كما هو سائد عند بارت، وقد قدم نموذجًا تحليليًّا بنيويًّا كاملا لآيات سورة الفاتحة انطلاقًا من تجزئتها إلى عناصرها الأولية أي المورفيمات وهي أصغر عنصر دال على معنى، وتحليل مكونات كلماتها ومحدداتها اللغوية، وبيان سماتها ووظائفها النحوية والدلالية بما يظهر فكره وتوجهه البنيوي في تحليل النصوص القرآنية، فقد تحدث عن الأسماء والأفعال والضمائر في السورة الكريمة حديثًا منفصلا لكل منها على حده، بل إنه نص صراحة على أن هذه التراكيب اللغوية:

(١) القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب دراسة وتقويم – د/ عبد الرازق هرماس صـ ٣٤.
(٢) ينظر: الفكر الإسلامي قراءة علمية – محمد أركون – ترجمة/ هاشم صالح صـ ١٩٠.
(٣) ينظر: الفكر الإسلامي قراءة علمية صـ ١٩٠ وما بعدها.

"(الصراط المستقيم، الذين أنعمت عليهم، المغضوب عليهم، الضالين) هي عبارة عن مفاهيم أو أصناف أشخاص محددين من قبل المتكلم، وقابلين للتحديد من قبل المخاطب عندما يصبح بدوره قائلا أو متكلمًا". (١) أو كما قال: "إن مسألة المؤلف لا تعود تطرح من خلال المفاهيم المعتادة. أقصد بذلك لم تعد تشرط فهم النص كما كانت تفعل حتى الآن. فالنسيج اللغوي للنص يبلغ من الخصوصية حد أن المؤلف ينبثق من خلاله بشكل من الأشكال، ثم ينبني ويتشكل كلما راحت عملية القول تتطور وتتقدم. ماذا يعني كل ذلك؟ يعني أننا لم نعد بحاجة للانطلاق من المسلمات اللاهوتية الدوغمائية لكي نتحدث عن القرآن". (٢) وهو بذلك يتيح لقارئ النص القرآني أن يحدد مفاهيمه وعباراته كما يريد. وهو بهذا أيضا يضع القرآن الكريم في مصاف النصوص التاريخية والتراث البشري حتى يمكن قراءته كما قال: "قراءة نقدية وإخضاعه للنقد التفكيكي والتاريخي المقارن وللتحليل الألسني التفكيكي". (٣) وكل هذا نابع عنده من تأثره بالفكر الغربي الذي عاش في أوساطه الثقافية السائدة في الغرب حيث تنقل بين دياره المختلفة، فقد عمل في جامعة السوربون في فرنسا، وجامعة برلين في ألمانيا، وكذا في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية المختلفة مثل جامعات: لوس أنجلوس ونيويورك وفيلادلفيا، وفي اسكتلندا في جامعة أدنبرة، وهولندا في جامعة أمستردام. ولا أدل على صحة ذلك من أنه أي أركون يستغرب كثيرًا ممن يعتقد أن هذا القرآن كلام نزل من الله، ولذلك يقول

(١) ينظر: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني – محمد أركون – ترجمة/ هاشم صالح صـ ١٢٤: ١٤٤.

(٢) السابق صـ ١٣٠.

(٣) محمد أركون وعلمنة الإسلام – مقال في شبكة الألوكة لـ عبد العزيز كحيل – تاريخ الإضافة: ٢٠١٢/١/١٢ ميلادي – ١٤٣٣/٢/١٨ هجري.

مثلاً: "أصبحوا – (يقصد كبار رجال الدين) – يقدمون الخطاب القرآني، لكي يُتلى ويُقرأ ويُعاش، وكأنه الكلام الأبدي الموحى به من قبل إله متعالٍ". (١)

ومن هنا نقول: ليس لدى البنيويين الغربيين ومن سار على نهجهم من المتغربين العرب والعلمانيين منهم نص مقدس لا يخضع لنظريتهم. وتبعًا لذلك جرت دراسة التوراة والإنجيل بنيويًّا مثلها مثل سائر النصوص. وهذا يتفق مع ما ذكره أيضًا نصر حامد أبو زيد حيث قال: "لعلنا لآن أصبحنا في موقف يسمح لنا بالقول بأن النصوص الدينية نصوص لغوية شأنها شأن أية نصوص أخرى في الثقافة، وأن أصلها الإلهي لا يعني أنها في درسها وتحليلها تحتاج لمنهجيات ذات طبيعة خاصة تتناسب مع طبيعتها الإلهية الخاصة". (٢) وقوله: "ليس معنى القول بتاريخية الدلالة تثبيت المعنى الديني عند مرحلة تشكل النصوص، ذلك أن اللغة – الإطار المرجعي للتفسير والتأويل – ليست ثابتة، بل تتحرك وتتطور مع الثقافة والواقع، وإذا كانت النصوص – كما سبقت الإشارة – تساهم في تطوير اللغة والثقافة من جانب أنها تمثل الكلام في النموذج السوسيري، فإن تطور اللغة يعود ليحرك دلالة النصوص وينقلها في الغالب من الحقيقة إلى المجاز، وتتضح هذه الحقيقة بشكل أعمق بتحليل بعض أمثلة من النص الديني الأساسي وهو القرآن ... ". (٣) فهو يدعو صراحة إلى معاملة النص القرآني معاملة النص البشري وإخضاعه في التفسير والتحليل لمعطيات الواقع مستدلا على ذلك بفكر المعتزلة. فالنصوص الدينية عنده ليست في التحليل إلا نصوص لغوية بمعنى أنها تنتمي إلى بنية ثقافية

(١) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل (نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي) – محمد أركون – ترجمة/ هاشم صالح صـ ١٤٦.

(٢) ينظر: نقد الخطاب الديني – د/ نصر حامد أبو زيد صـ ٢٠٦.

(٣) ينظر: السابق صـ ٢٠٦: ٢١٠.

محددة تم إنتاجها طبقًا لقوانين تلك الثقافة التي تعد اللغة نظامها الدلالي المركزي. وليس معنى ذلك أن النصوص تمثل قابلا سلبيًّا في تعبيره عن البنية الثقافية من خلال النظام اللغوي... إن النصوص لا تنفك عن النظام اللغوي العام للثقافة التي تنتمي إليها، لكنها من ناحية أخرى تبدع شفرتها الخاصة التي تعيد بناء عناصر النظام الدلالي الأصلي من جديد، وتقاس أصالة النصوص وتتحدد درجة إبداعيتها بما تحدثه من تطور في النظام اللغوي، وما تحققه من نتيجة لذلك من تطور في الثقافة والواقع معًا. وعلى ذلك يمكن القول إن النصوص ترتبط بواقعها اللغوي الثقافي فتتشكل به من جهة وتبدع شفرتها الخاصة التي تعيد بها تشكيل اللغة والثقافة من جهة أخرى". [١] أما القول بإلهية النصوص والإصرار على طبيعتها الإلهية فإن هذا يستلزم عنده كما قال: "أن البشر عاجزون بمناهجهم عن فهمها ما لم تتدخل العناية الإلهية بوهب بعض البشر طاقات خاصة تمكنهم من الفهم وهذا بالضبط ما يقوله المتصوفة، وهكذا تتحول النصوص الدينية إلى نصوص مستغلقة على فهم الإنسان العادي – مقصد الوحي وغايته – وتصبح شفرة إلهية لا تحلها إلا قوة إلهية خاصة، وهكذا يبدو وكأن الله يكلم نفسه ويناجي ذاته، وتنتفي عن النصوص الدينية صفات الرسالة والبلاغ والهداية والنور ... إلخ". [٢]

وهذا المنهج الذي نهجه هو وغيره ممن سبق ذكرهم يتصادم مع النص اللغوي عمومًا ونصوص الوحي خصوصًا، فالمنهج البنيوي يعطل اللغة عن مهمتها في نقل المعاني، ويحولها إلى هياكل جامدة يعاد تركيبها وصنع دلالاتها بعيدًا عن معانيها الظاهرة ومرادات قائليها، ومجرد القبول بهذه

(١) ينظر: السابق صـ ٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) ينظر: السابق صـ ٢٠٦.

المنهجية للتعامل مع النصوص ونقدها يعني عبثية وفوضى لا منتهى لها، والمقصود النهائي الذي تصل إليه البنيوية هو القطيعة مع التراث وإعادة تشكيل دلالات النصوص بما يوافق أمزجة البنيويين وأهوائهم. (١)

فهذا المنهج البنيوي يلغي فكرة السبب والمسبب، وأن كل حادث لا بد له من محدث، بل تلغي فكرة الخالق والمخلوق، وهو بهذا التوصيف مصادم للشرع ومناقض للأديان عمومًا ولدين الإسلام خصوصًا؛ لأنه يهدم مرجعية النص ودلالته، فمصدرية النص تنتقض بالنسبية التي تنتجها البنيوية، ودلالات الوحي تنهدم بإغلاق دلالة النص على ذاته وبتر مدلوله عن مقاصد الشارع الحكيم وأسباب النزول وغيرها من مفسرات النص الشرعي المبينة لمقاصده ومراميه والموضحة لمعانيه؛ لذلك فالبنيوية مصادمة للدين، فهي تحل أي شيء مكان الدين أو تسعى إلى ذلك، وهذا ما أكده أحد النقاد الغربيين حيث قال: "البنيوية هي من بين الأشياء أخرى محاولة أخرى من سلسلة محاولات مشؤومة قامت بها النظرية الأدبية؛ لإحلال شيء آخر أكثر فاعلية محل الدين، وهو في هذه الحالة دين العلم الحديث"..... والبنيوية في نظر الإسلام أيضًا منهج تشكيكي في كل اليقينيات، وفي كل شيء محدد وثابت، بل هي فكرة الماديين والدهريين الذين قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ (٢) لذلك لا نرى تطبيق هذا المنهج على نصوص الوحي بوصف المنهج البنيوي منهجًا مطردًا بقوانين وتحليلات شمولية قاطعة لا تستثني قائلا ولا نصًا ولا لغة .... ومن هنا ندرك مدى خطورة الدعوة إلى البنيوية وتطبيقاتها ومبادئها التي ارتكزت عليها في تأويلها وتفسيرها للنصوص التاريخية على اللغة العربية التي

(١) ينظر: البنيوية النشأة والمفهوم صـ ٢٥٨.

(٢) سورة الجاثية من الآية (٢٤).

يعد أسمى ما فيها وذروة سنامها هو نصوصها المقدسة باتفاق كل ناطق بها أو دارس لها وهو النص "الموحى" أي كلام الله – ﷻ – ورسوله – ﷺ – وكيف يمكن أن تطبق على القرآن الكريم نظرية موت المؤلف، واستقلال النص وقيامه كونًا مستقلا بذاته يفهمه كل قارئ كما يشاء، فلا مانع لدى البنيوية من أن يكون له تفسيرات بعدد القراء بل أكثر من ذلك، فقد ساروا على منهج كفار قريش في الزعم بأن النص القرآني ليس منزلا من عند الله، والبنيويون حاكوا الباطنية في تفسيره – كما يشاءون – بلا ضابط من عقل أو نقل. (١)

فهؤلاء العلمانيون المتغربون كان شعارهم هو أنه لا مجال للحديث عن الثوابت واليقينيات، فلا بد – بنظرهم – لتحقيق التقدم والنهضة من خلخلة القناعات وزحزحة المعتقدات، واختراق الممنوعات السائدة، وانتهاك المحرمات والتمرد على الرقابة الاجتماعية، ولا بد من اختراق اللامفكر فيه والمسكوت عنه، وتحريك العقول إلى المناطق المحرمة، وإعادة النظر في كل المسلمات التراثية والعقائد الدينية التي يتلقاها المسلم منذ الطفولة، ولا مانع عندهم من انتهاك القيم السائدة والخروج عليها من أجل تقدم المعرفة، والسبيل إلى هذا الأمل هو التخلص من سلطة النصوص المغلقة، والتحرر من قال الله وقال الرسول، والتحرر من سلطة السلف، والإجماع، والقياس؛ لأن هذه السلطات تلغي العقل وتجعله لا يفكر انطلاقًا من أصل أو انتهاء إليه أو بتوجيه منه. كذلك فإن اللغة عندهم وكذا الشريعة والعقيدة عناصر تتكون منها المرجعية التراثية ولا سبيل إلى تجديد العقل إلا بالتحرر من سلطانها، وذلك بإزاحة القداسة عن منظومة الشافعي الأصولية والتخلص من التعلق الحرفي بالنصوص، والإعراض عن النظرة الفقهية للدين، وتكريس المسؤولية الفردية.

(١) ينظر: البنيوية النشأة والمفهوم عرض ونقد صـ ٢٥٩: ٢٦١ بتصرف.

فقداسة القرآن عندهم لا سيما محمد أركون ليست أصلية وإنما دخيلة، وليست جوهرية وإنما سطحية، وليست حقيقية وإنما مصطنعة لأسباب سياسية وثقافية وتلاعبات فكرية، وأن هذه التلاعبات قد كشفها النقد وتبين زيفها فيما يخص التوراة والإنجيل، أما بالنسبة للقرآن فإن هذا لم يحصل بعد. (١)

ولهؤلاء وأمثالهم نقول: إن القرآن الكريم كلمة الله ووحيه المنزل من السماء نزل به الروح الأمين سيدنا جبريل على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي الأمي الأمين الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾ (٢) وكله وحدة مترابطة من حيث قوة الموسيقى في حروفه وتآخيها في كلماته، وتلاقي الكلمات في عباراته ونظمه المحكم في رنينه ... وكأن المعاني مؤامنة للألفاظ، وكأن الألفاظ قطعت لها وسويت حسبها. ففي الحروف وطريقة نظمها وصفاتها ومخارجها أسرار ولطائف ودلالات أودعها الله تعالى فيها، والمفردة القرآنية تمتاز بجمال وقعها في السمع واتساقها الكامل مع المعنى واتساع دلالتها لما تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى. و "إن كل كلمة في جملة من الكلام تدل بمفردها على معان تتساوق مع المعنى الجلي للكلام، وأن كل كلمة تكون بمفردها صورة بيانية تكون جزءا من الصورة". (٣)

ونقول لهم أيضا: إن في تطبيق هذا المنهج البنيوي الغربي في تحليل النص القرآني تحريفًا لمعانيه وإفراغًا لمضامينه وإعطاء القارئ الحرية الكاملة في التعامل مع النص الإلهي المقدس وفهمه وتأويله بما لا يحتمله ولا يصدق

(١) ينظر: العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص صـ ٧٥٣، ٧٥٥ بتصرف.

(٢) سورة النجم الآيات (٣، ٤، ٥).

(٣) النظام اللغوي للقرآن الكريم في دراسات القدامى والمعاصرين – د/ حسن منديل حسن العقيلي – بحث في النت.

عليه، وهي بذلك تكون قد أهدرت خصوصية النص السماوي وتاريخه الذي أنشئ فيه وذاتية المؤلف؛ لأنه لا شيء خارج النص عندهم. وهذا ما لا يتفق تمامًا مع ديننا الحنيف؛ لأننا أولًا نؤمن بوجود الله الواحد الأحد خالق الكون ومبدعه، وأن القرآن الكريم هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا تفهم الآيات فيه إلا من سياقها ومعرفة سبب نزولها ومناسبتها، ولا يحتمل التأويل، ولا يخضع لاجتهاد البشر، ولا يحتمل تأويله أو تفسيره حسب ما يريد القارئ أو حسب توجهه هو وفكره، فموت المؤلف كما يقول أصحاب هذا المنهج البنيوي الغربي أو البارتي سيؤدي بالضرورة إلى ميلاد طرف آخر في هذه المعادلة وهو القارئ أو الناقد والذي ستصبح له الحرية الكاملة ليستبيح النص ويفعل به ما يشاء مادام مبدع النص هو خارج هذه المعادلة، وإذا كان النص يظل في ذهن المؤلف باعتباره أول قارئ له وناقد، فإنه يتحول إلى ذهن القارئ وبأشكال مختلفة تمامًا، ذلك أن الاهتمام بالمؤلف أو بالنص لم يعد هو الأساس، وبذلك يصبح النص هو نسيج لأقوال ناتجة عن ألف بؤرة من بؤر الثقافة تبعًا لثقافة القارئ وتوجهه الفكري أو العقدي.

أما ما ذكره بعض علماء الغرب المحدثين أمثال (ديفد بترسون) عن وجود هذا الفكر البنيوي – الذي يرى اللغة بنية منظمة متكاملة، فيعنى بتصريف الكلمات، وصلاتها الاشتقاقية وصورها الإسنادية والإضافية من حيث الفصل والوصل مع إبراز الطابع العضوي لأنماط اللغة، وما يترتب عن ذلك من فكرة المعاقبة في الموقع، ثم الربط بين الصورة والوظيفة التي تؤديها الصورة في النظام – عند النحويين العرب القدامى حيث ذكر في مقال كتبه بعنوان (بعض الوسائل التفسيرية عند النحويين العرب)، وجود هذا المنهج البنيوي عند النحويين العرب القدماء، وناقش فيه لجوء النحويين العرب إلى التأويل والتجريد، وختمه بقوله: "يجب أن يكون واضحًا من النِّقاش الذي تقدَّم أنَّ النحويين العرب لم يكونوا وصفيين لا يهتمون إلا بالظَّاهر في أية حال، بل هم بنيويون بالمعنى

نفسه الذي يصنَّف به أكثر الدرس اللساني في القرن العشرين، ومن ضِمنه النحو التوليدي التحويلي بأنَّه بنيوي، لقد كان النحويون العرب مُهتمِّين بالتَّحليل البنيوي الذي يصل الأشكال بعضها ببعض، وذلك ما يؤدي إلى تفسيرها". (١) وكذا قول الباحث الأسترالي المعاصر (مايكل كارتر) عن كتاب سيبويه: "إن كتاب سيبويه يُقدِّم نموذجًا من التَّحليل البنيوي لم يعرفه الغرب حتى في القرن العشرين، ويُقَدِّر أن لو وُلِدَ سيبويه في عصرنا هذا لتبوَّأ منزلةً وسطًا بين دي سوسير وبلومفيلد". (٢) ف سيبويه عند كارتر وصل إلى نتائج شبيهة بما وصلت إليه اللسانيات المعاصرة لكن باتباع مناهج وطرائق خاصة تنبني على منظوره للغة. يقول كارتر: "إن النحاة المتأخرين مدينون بالكثير لسيبويه الذي يظل إلى اليوم المصدر الموثوق للمعطيات الأصلية والكفاية المنهجية. وعندما تقاس أفكاره إلى أفكار اللسانيات الغربية المعاصرة سيصبح عمق تحليله وتماسكه واضحا، ملاحظاته وخلاصاته تمثل أغلب تصوراتنا الحديثة، وهذا توافق علمي لا يدل على صلة تاريخية، بل يثبت فقط حقيقة القول القديم إن العقول العظيمة تفكر بالطريقة نفسها". (٣) وكذا قول (جوناثان أوينز): "إنَّه على العكس من النظرية اللسانية المعاصرة التي تكون فيها مبادئ الوصف والتفسير مُعلَنةً واضحة لم تكن هذه المبادئ في النحو العربي تذكر علنًا في كُلِّ حالٍ، لكنَّ هذا لا يمنع الباحث المُدقِّق من العثور عليها؛ لأنَّها وإنْ لم تكن مُعلنة فإنَّها مُنفَّذة فعلاً، وهي ليست أقلَّ من حيث الدقة". (٤) ويعرض المؤلف في الفصل الرابع، "منهج سيبويه" ويقارنه بمنهج المدرسة البنيوية الأمريكية في الثلاثينيات

(١) مكانة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة – د/ جمزة بن قبلان المزيني صـ ٣٣

(٢) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر النحوي الحديث – د/ نهاد موسى صـ ٤٠.

(٣) السابق صـ ٧٨، ٧٩.

(٤) مكانة اللغة العربية في الدراسات المعاصرة – د/ حمزة قبلان المزيني صـ ٢١

والأربعينيات من القرن العشرين. ولم يكن هذا المنهج معلنًا عند سيبويه لكنَّ كتابه كان نتيجة لمنهج مُحدد يُمكن اكتشافه. ومن وجوه هذا المنهج استعمالُ سيبويه فكرةَ "التبادل" التي استعملها لتحديد الوظيفة النحوية وتوزيع الكلمات واكتشاف أصح الأشكال للكلمة وتحديد المعنى... إلخ، كما استعمل سيبويه بعض الطرق المنهجية الأخرى مثل استعمال الدليل السَّلْبي والتصنيف، والتبادل القياسي، واستعمال الأمثلة الممثِّلة لغيرها، وكذلك الكلمات، واستعمال الأصل، وغير ذلك. (١)

لكن هذا التوافق الذي أشاروا إليه كان ظاهريًّا فقط، أما تأويل النص بعيدًا عن قائله أو محيطه التاريخي أو الاجتماعي فلا وجود له عندهم، بدليل أن سيبويه قد عني عناية فائقة في كتابه بموافقة بنية الكلام للمعنى الذي يقصده قائله، لا على حسب المعنى الذي يوظفه قائل النص في أي زمان أو مكان.

وأما ما ذكره (محمد مندور) من أن نظرية النظم هي نفسها النظرية البنيوية حيث قال: "وفي الحق إن عبد القاهر قد اهتدى في العلوم اللغوية كلها إلى مذهب لا يمكن أن نبالغ في أهميته، مذهب يشهد لصاحبه بعبقرية لغوية منقطعة النظير، وعلى أساس هذا المذهب كون مبادئه في إدراك (دلائل الإعجاز)، ومذهب عبد القاهر هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه، هو مذهب العالم السويسري الثبت فرديناند دوسوسير الذي توفي ١٩١٣م". (٢) وكذا قول عبد العزيز حمودة: "إن النظم يمثل مكوّنًا في نظرية لغوية لا تقل سماتها وضوحًا عن سمات أيّ نظرية لغويّة حديثة. والواقع

(١) مكانة اللغة العربية في الدراسات المعاصرة – د/ حمزة قبلان المزيني صـ ٢٧.

(٢) البنيوية النشأة والمفهوم صـ ٢٤٤.

أن مفهوم "النظم" يمثّل العمود الفقريّ لنظرية لغوية عربية لا تقل تكاملًا من ناحية اتساقها على الأقل عن أي نظرية لغوية حديثة، بما في ذلك نظرية فردينان دوسوسير التي اتخذتها علوم اللغة نقطة انطلاق إلى تشعيبات وتفريعات لغوية ونقدية شبه لا نهائية". (١) ويقول متجاوزًا نطاق الجرجاني: "بعد كل ما قدمناه، لا أظن أننا بحاجة إلى إعادة تأكيد أن العقل العربيّ قد عكف منذ القرن الثالث الهجريّ وحتى نهاية القرن الخامس على تطوير نظريّة لغويّة لا تختلف في مكوناتها كثيرًا عن مفردات علم اللغويات الحديث الذي أسس له فردينان دوسوسير في بداية القرن العشرين". (٢)

فإننا نقول لهما: إن نظرية النظم عند الجرجاني تعتمد في الأساس على ترتيب معاني النصوص، وتوضيح معانيها، بإخضاعها لضوابط، حيث يُرجع ذلك كله لقوانين النحو وأصوله، كما أنها ظلت تقف عند حدود الجملة الواحدة، وإن تجاوزتها فإلى الجملتين أو الثلاث في مباحث الوصل والفصل، وأما النظر إلى النص بتمامه باعتباره وحدة أو نسقًا دلاليًّا متكاملًا، ثمّ تناول جزئيّاته في الإطار الكلي لذلك النسق فهذا ما لا مطمع في ادعائه لنظرية الجرجاني أو لأي تصور عربي بلاغيّ قديم؛ وإنما هو من حظ النظريات البلاغية الحديثة، ابتداء بالبنيوية التي قامت في الأساس على مفهوم "البنية" أو "النسق". فليست نظرية الجرجاني – كما ذهب إليه مندور، وعبد العزيز حمودة من بعده – مضاهية لأفضل ما توصلت إليه البلاغة الحديثة، ولا هي – في الوقت نفسه – قليلة الشأن كما يدّعي الغاضّون من قدرها، ومن قدر التراث العربي عامة؛ ولكنها كانت – بحق – مقدّمة أو نواة لنظرية بلاغية عربيّة فذّة، لو

(١) المرايا المقعّرة (نحو نظرية نقدية عربية) – د / عبد العزيز حمودة صـ ٢٢٠.
(٢) السابق صـ ٢٤٣.

قُيّض لها من ينطلق منها ويتممها بعد الجرجاني، كانت – عندئذ – ستترقى إلى نظرية ربما تفوق كل النظريّات الحداثيّة اليوم، ولكنه – وهذا مما يؤسف له – توقّفت عند الجرجاني. (١) ولعل هذا يلتقي مع بعض النقود التي وجهت للبنيوية ومنها: عدم استطاعتها تحليل كل أنواع الجمل، فالجمل قد تطول وتتعقد العلاقات بين مكوناتها، لكنها بكل تأكيد تناولت في تحليلها أكثر جمل النص اللغوي وما أغفلته منها محدودًا.

وهذا ما أكده أحد الباحثين المحدثين حيث يرى – وقد أصاب في ذلك – أن هناك فرقًا بين مفهوم المنهج البنيوي الذي يعنى منهجية تقوم بتحليل النص وتفسيره بمعزل عن محيطه الخارجي – (وهو من أهم النقود التي وجهت لهذه النظرية حيث نظرت إلى المكونات المباشرة للغة وتغافلت عن البنية العميقة لها) – وبين نظرية النظم عند الجرجاني التي تعنى "ليس إلا بأن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها" كما قال. (٢) هذا من حيث اختلاف نظرية النظم عند الجرجاني عن البنيوية في المفهوم، أما من حيث تحليل النص ومعرفة المراد منه، فإن المنهج البنيوي يقوم ببتر النص وعزله عن قائله وفكره ووجدانه، وكل ما يحيط به من مؤثرات، فيتعامل مع النص على أنه قالب جامد، ثم يفسر النص بمعان غير مقصودة، بل ولا يحتملها النص أصلا. خلافًا لنظرية النظم عند الجرجاني فهي تعتمد في ترتيب معاني النصوص، وتوضيح معانيها بإخضاعها لضوابط، حيث يرجع ذلك كله لقوانين النحو وأصوله، إذ يقول عبد القاهر: "فلا ترى

(١) البنيوية من منظور جرجاني – محمد يوب.

(٢) دلائل الإعجاز – تح د/ عبد الحميد هنداوي صـ ٦١.

كلامًا قد وصف بصحّة نظم أو فساده، أو وصف بمزيّة وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتّصل بباب من أبوابه". (١) فنظرية النظم عند الجرجاني تهتم اهتماما رئيسا بتوضيح معاني النصوص من خلال ربط النظم بمعاني النحو، ولا تفسر النص بعيدا عن سياقه أو مقصود منشئه، وليس للقارئ فيها إلا الفهم والاستيعاب وليس إعادة الإنتاج أو تحوير المعنى المراد؛ لأن الألفاظ المفردة أو الأشكال التركيبية النحوية عنده لا يكون لها أهمية إلا من حيث ارتباطها بالسياق الذي يضعها فيه صاحب النص نفسه؛ ولأن سياق الكلام هو الغرض الذي ورد الكلام لأجله. وعلى هذا تكون نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني هي البنيوية عند دوسوسير شكلا لا مضمونًا في رأيي؛ لأن عبد القاهر كان السياق والمناسبة والمحيط الخارجي للنص هو شاغله الرئيس، خلافًا للبنيوية الحديثة التي تنزع النص من سياقه ومحيطه الخارجي أو الاجتماعي أو النفسي. وهو ما أكده حسن هويمل في قوله: "إن هناك فرقًا واضحًا بين «البنيوية" كما هي عند الغربيين و"نظرية النظم" كما هي عند "الجرجاني"، ذلك أن «البنيوية" وإن تشابهت من بعض الوجوه مع "نظرية النظم" فإنها تنطوي على فروق جذرية، مع أن مرجعية النظريتين "أيديولوجية" وتبقى "نظرية النظم" مؤشر عبقرية عربية، وآلية نقد أسلوبي. وإذ نسلِّم بأن "نظرية النظم" وليدة همٍّ "أيديولوجي" فإن نظريات الغرب كافة تتسلُّ من رؤى فلسفية مادية خالصة، لا تحيل إلى وحي، ولا تؤمن بغيب، وقد لا تستشعر مبدأ العلة المباينة، وبخاصة عند طائفة الملحدين الغربيين، وعلينا أن نعرف الجذور الفلسفية لكل مصطلح يطرحه الغرب، وإن لم نفعل

(١) دلائل الإعجاز – تح د/ عبد الحميد هنداوي صـ ٦١.

خلطنا العذب الفرات بالملح الأجاج، والمتهافتون عليها من أبناء جلدتنا تجذبهم بروقها الخُلّبْ، دونما وعي بحواضنها". (١)

فـ (عبد القاهر) وغيره من بعض علمائنا القدامى الذين ظهر في مؤلفاتهم المنهج البنيوي شكلًا لا مضمونًا قاموا بتحليل ما تتضمنه النصوص أيًّا كانت (قرآنية، أحاديث نبوية، أشعارًا) من خلال أمرين هما الأول: تقطيع النصوص إلى وحدات صغيرة. والثاني: الكشف عن قواعد التجميع والتبادل والتعارض بين هذه الوحدات، وتنسيقها في بنيات تفسيرية. وهذا ما يبدو واضحًا في تحليل الإمام عبد القاهر للآية القرآنية حيث قال: "هل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢) فتجَلَّى لك منها الإعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع! أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمرٍ يرجع إلى ارتباط هذه الكلمِ بعضها ببعضٍ وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستقرِ بها إلى آخرِها وأنّ الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها. إن شككت فتأمل! هل ترى لفظة منها بحيث لو أُخذت من بين أخواتها وأُفردت لأدَّت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية قل: "ابلعي" واعتبِرها وحدها من غيرِ أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء بـ "يا" دون "أيّ" نحوُ: يا أيتها الأرضُ، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن

(١) ظواهر النقد الحديث وجذورها في التراث – مقال في النت لـ د/ حسن بن فهد الهويمل – الخميس ٢٠٠٨/١٠/٣٠م.

(٢) سورة هود الآية (٤٤).

يقال: ابلعي الماء، ثم أن أُتبعَ نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، ونداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل: وغيضَ الماءُ. فجاء الفعل على صيغة "فُعِلَ" الدالَّة على أنه لم يَغِض إلا بأمرِ آمرٍ وقدرة قادر. ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: (قُضِيَ الأمرُ). ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمورِ وهو (استوتْ على الجوديِّ)، ثم إضمار السفينة قبل الذكرِ كما هو شرط الفخامة والدلالة على عِظَمِ الشأن، ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة بـ "قيل" في الفاتحة. أَفترى لشيءٍ من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجازِ روعة وتحضرك عند تصورِها هيبة تحيط بالنفس من أقطارِها تعلقًا باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب. فقد اتضح إذًا اتضاحًا لا يدع للشك مجالًا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تَثْبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلُّق له بصريحِ اللفظ". [١] وربط ذلك بالمعنى الذي من أجله قيل الكلام وضم فيه لفظ إلى لفظ آخر بعلاقة رابطة أو جامعة بينهما حيث قال:" وأمّا "نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتّبها على حسب ترتّب المعاني في النفس. فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النّظم الذي معناه ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتّفق".[٢] وكذا قوله: "لو كان القصْدُ بالنَّظم إلى اللفظِ نَفْسِه، دونَ أن يكونَ الغرضُ ترتيبَ المعاني في النَّفس، ثم النطقَ بالألفاظ على حَذْوها، لَكانَ يَنْبغي أن لا يَخْتلف حالُ اثنين في العِلْم بحُسْن النظُم أو غير

(١) دلائل الإعجاز – تح د/ عبد الحميد هنداوي صـ ٣٩: ٤٠.
(٢) السابق صـ ٤٢.

الحسن فيه؛ لأنهما يحسبان بِتَوالي الألفاظِ في النُّطق إحساسًا واحدًا، ولا يَعْرِفُ أحدُهما في ذلك شيئًا يَجْهلُهُ الآخرُ". (١) فالمعاني معبرة عما في ذهن المتكلم بالعبارة أي المنشئ لها. ويبدو هذا أكثر وضوحًا حين عاب صراحة الذين اهتموا بالألفاظ في نظم الكلام واعتبروه هو الأصل في نسق الكلام ونظمه من دون رعاية المعني فقال: "واعلم أنّ السبب في أن لم يقع النظر منهم موقعه، أنّهم حين قالوا: نطلب المزية، ظنوا أن موضعها اللفظ بناء على أن النظم نظم الألفاظ، وأنه يلحقها دون المعاني، وحين ظنّوا أنّ موضعها ذلك واعتقدوه، وقفوا على اللفظ، وجعلوا لا يرمون بأوهامهم إلى شيء سواه. إلّا أنّهم، على ذاك لم يستطيعوا أن ينطقوا في تصحيح هذا الذي ظنّوه بحرف، بل لم يتكلّموا بشيء إلّا كان ذلك نقضا وإبطالا لأن يكون اللفظ، من حيث هو لفظ، موضعًا للمزية، وإلا رأيتهم قد اعترفوا، من حيث لم يدروا، بأن ليس للمزية التي طلبوها موضع ومكان تكون فيه، إلّا معاني النحو وأحكامه". (٢) بل إنه نص صراحة بما لا يحمل مجالا للبس على ارتباط النظم أو النسق بالمعنى وبمبدعه أو منشئه وليس بمن حذا حذوه أي قارئه قوله: " واعلم أنّك إذا نظرت وجدت مثلهم مثل من يرى خيال الشيء فيحسبه الشيء. وذاك أنهم قد اعتمدوا في كلّ أمرهم على النّسق الذي يرونه في الألفاظ، وجعلوا لا يحفلون بغيره، ولا يعوّلون في الفصاحة والبلاغة على شيء سواه، حتى انتهوا إلى أن زعموا أن من عمد إلى شعر فصيح فقرأه ونطق بألفاظه على النّسق الذي وضعه الشاعر عليه، كان قد أتى بمثل ما أتى به الشاعر في فصاحته وبلاغته إلّا أنهم زعموا أنه يكون في إتيانه به محتذيا لا مبتدئا. ونحن إذا تأمّلنا وجدنا الذي يكون في الألفاظ

(١) دلائل الإعجاز – تح د/ عبد الحميد هنداوي صـ ٤٣.

(٢) السابق صـ ٢٥٢.

من تقديم شيء منها على شيء، إنما يقع في النفس أنّه (نسق)، إذا اعتبرنا ما توخّي من معاني النحو في معانيها، فأمّا مع ترك اعتبار ذلك، فلا يقع ولا يتصوّر بحال". (١) فلا محالة عنده من تتبع المعاني في مواقعها، أما النظر إلى ظواهر الأمور أي نظم وبناء الكلام من دون الوقوف على معناه المراد الذي سيق من أجله كما هو في البنيوية السوسيرية، أو تحريف المعنى عن مراد كاتبه كما هو الحال في تحليل النصوص الأدبية أو الدينية عند رولان بارت ومن سار على نهجه من المتغربين العرب الذين زعموا أن اللغة هي التي تتكلم داخل العمل سواء كان العمل أدبيًّا أو غيره وليس المؤلف، فقد عده من الأضاليل التي تنحرف بالنص عن وجهه الصحيح وتخرجه عن مقصوده الرئيس الذي وضع من أجله يقول: "فلا تخدعنّ نفسك بالأضاليل، ودع النظر إلى ظواهر الأمور، واعلم أن ما ترى أنه لا بدّ منه من ترتّب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص، ليس هو الذي طلبته بالفكر، ولكنه شيء يقع بسبب الأوّل ضرورة، من حيث إنّ الألفاظ؛ إذ كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أوّلا في النفس، وجب للّفظ الدالّ عليه أن يكون مثله أوّلا في النطق، فأمّا أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرًا في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها، فباطل من الظنّ، ووهم يتخيّل إلى من لا يوفي النظر حقّه. وكيف تكون مفكرًا في نظم الألفاظ، وأنت لا تعقل لها أوصافًا وأحوالا، إذا عرفتها عرفت أن حقّها أن تنظم على وجه كذا؟". (٢)

(١) دلائل الإعجاز – تح د/ عبد الحميد هنداوي صـ ٢٩٥، ٢٩٦.

(٢) السابق صـ ٤٤.

فالمعنى الأول الذي وضع له اللفظ هو المقصود لذاته وهو موضع العناية والاهتمام، خلافًا للبنيوية التي لم تكن تعنى بالمعنى وتجعله الحلقة الأضعف في دراسة النص، فاللغة عندهم ما هي إلا شكل وصورة لا جوهرا أو مادة.

وعلى هذا نقول: إن نظرية النظم عند الجرجاني تتوافق مع الدراسات البنيوية الحديثة شكلا وظاهرًا لا مضمونًا، وخير دليل على ذلك هو عدم صحة تطبيق هذا المنهج البنيوي الأوربي الحديث على الدراسات العربية والإسلامية. وهذا ما ذهب إليه جلال شمس الدين في قوله: "إن النحاة العرب أدركوا مقومات التحليل البنيوي الشكلي، وهو صلب من أصلاب منهجهم النحوي، بل ربما كانت مباحثهم اللغوية في أول أمرها – قبل الخليل وصحبه، بل قبل أبي الأسود الدؤلي، أي قبل الإسلام – مباحث بنيوية شكلية خالصة، وهو ما يتفق مع طبيعة البحث اللغوي. أي يبدأ بنيويا، فقسموا الكلام إلى عناصر ثم أوجدوا العلاقات بين هذه العناصر". (١) وقال أيضا: "وخلاصة القول إن أحدًا في العربية لم يقدم حتى الآن للعربية – فيما نعلم – نحوًا شكليًّا خالصًا – أي بنيويًّا– بعيدًا عن المعنى وبعيدًا عن العامل وبعيدًا عن التعليل". (٢)

ومن هنا نقول: إن هذا المنهج البنيوي الذي طبَّقه محمد أركون، وطه حسين، ونصر حامد أبو زيد، وهاشم صالح الذي تبنى فكر محمد أركون وترجم كثيرًا من مؤلفاته، وعلي حرب في كتابه (النص والحقيقة، نقد الحقيقة) (٣)، وغيرهم ممن نهج نهجهم مستعينًا بالمنهج الألسني الذي يهدم مصدرية النصّ القرآني ومعانيه؛ لأن في ظنهم "دلالات الوحي تنهدم بإغلاق دلالة النصّ على

(١) الأنماط الشكلية لكلام العرب نظرية وتطبيقا دراسة بنيوية – جلال شمس الدين ١/ ٢١.
(٢) السابق صـ ٢٠
(٣) ينظر: النص والحقيقة (نقد الحقيقة) – علي حرب صـ ٨ وما بعدها، وص ٢٢ وما بعدها.

ذاتـه، وبتـر مدلولـه عـن مقاصـد الشـارع الحكـيم وأسـباب النـزول وغيرهـا مـن مفسرات النص الشرعي". [١] يفتح الباب لغير المسلمين أيضًا أن يفسروا القرآن الكريم بما يتماشى مع عقيدتهم هم، حيث انطلق بعض المستشرقين وأذنابهم من المتغربين في دراسة اللغة العربية وآدابها من المناهج التي تدرس بها لغاتهم. حيث أرادوا أن يطبقوا على الإسلام ولغته وعلى المؤلفات العربية التي يشتغلون بها المعيار النقدي نفسه الذي يطبقونه على تاريخ الفكر في بلادهم وعلى مصادرهم هم، مثل القسيس (يوسف درة الحداد ولد في ١٩١٣ في بلدة (يبرود – القلمون) سوريا وتوفي في ١٩٧٩ في لبنان) الذي استند إلى خلفياته الفكرية التي قوامها أن كتاب المسلمين المقدس مقتبس من الكتابين المقدسين لدى اليهود والمسيحيين، وعلى هذا الأساس تعامل مع النص القرآني على ضوء معتقداته الدينية، وقام بتحميل آرائه التفسيرية عليه بحسب هذه المعتقدات، وأكّد الحداد في بحوثه على أن التوراة هي الكتاب الوحيد المنزل من السماء، وادعى أن المقصود من مصطلح "كتاب" في كتاب المسلمين المقدس هو النسخة العربية للتوراة التي أطلق عليها عنوان "قرآن"، فقد جاء النبي محمد – ﷺ – به؛ لكي يعلم العرب الكتاب والحكمة – أي التوراة والإنجيل – لأنه أرسل لكي يفصل الكتاب ويثبت للناس قدسيته؛ لذا نلمس توجهاته العقدية جلية في آرائه التي تبناها، ضمن تفسير النص القرآني. وأسلوبه التفسيريّ يقوم على تجزئة الآيات، ثم تفسير ألفاظها وعباراتها؛ وفقا لمتبنياته الإيديولوجية، والنتيجة النهائية التي توصل إليها هي: عدم إنزال القرآن الكريم بالوحي، أو على أقلّ تقدير هو ليس من الكتب السماوية القائمة على أرفع درجات الوحي؛ وذلك من منطلق اعتقاده بأنه كتاب مستقل عن النصوص

(١) البنيوية؛ النشأة والمفهوم صـ ٢٥٩.

المقدسة السابقة، فقد وصف بالكتاب، والمقصود من ذلك التوراة والإنجيل، وآياته هي آيات التوراة والإنجيل ذاتها، لكن غاية ما في الأمر أنها عرضت على الناس باللغة العربية. والطريف – أيضا – هو ادعاؤه أن هدف القرآن الكريم هو تعليم العرب التوراة والإنجيل. (١)

فهؤلاء العرب المنبهرون أو المعجبون بالحضارة الغربية والكارهون للشرق بكل معارفه وعلومه ومقدساته – وقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، حيث صدعوا بذلك جهارًا نهارًا مثل (سلامة موسى) الذي يقول: "كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي من الأدب كما أزاوله، فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوروبا، فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنها مني وأني منها.... فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب" (٢) – يريدون أن يخضعوا النصوص الدينية الإسلامية للمناهج الغربية التي تبدو عليها النزعة الاستشراقية التخريبية لمقدسات المسلمين للسيطرة عليهم وهدم معتقداتهم والنيل من تراثهم وكتابهم المقدس (القرآن الكريم)؛ وذلك بمحاولة إخضاع التراث الإسلامي ونصوصه المقدسة لنفس الطريقة التي يقرأ بها التراث الأوربي من دون أن يقفوا على الفرق بينهما، وهنا نقول لهم ما قاله (أنور الجندي): "ليس التراث الغربي الذي وجدته أوربا في عصر النهضة إلا مجموع أشتات من تفسيرات رجال الدين ومن وثنية اليونان ومظالم القانون الروماني، فإذا جاء عصر النهضة ليدعوا إلى الخروج عن هذا الركام لإقامة دين الإنسانية

(١) ينظر: النص القرآني (التفسير الإشراقي للنص القرآني في النصف الثاني من القرن العشرين) – د/ فاطمة سروري – ترجمة/ أسعد مندي الكعبي صـ ٢٣٠، وما بعدها.

(٢) اليوم والغد – سلامة موسى صـ٧، ٨.

الإلحادي أو فلسفة التنوير اليهودية، فإن الأمر بالنسبة للمسلمين والإسلام جد مختلف، فالمسلمون قد عرفوا منهجًا ربانيًّا أصيلا، لم يعتوره الاضطراب أو الانحراف أو الفساد لحظة واحدة وظل نصه القرآني موثقًا لم يتأثر بتعليمات التاريخ، ومن ثم فإن التراث الإسلامي هو تفسير لهذا المنهج الرباني الثابت الجذور". (١)

ومن هنا نقول: إن هؤلاء المتغربين المتعصبين للغرب ومناهجه ونظرياته الحديث، وكذا الذين تبنوا تطبيق هذا المنهج البنيوي على القرآن الكريم كانوا أشد خطرًا على لغتنا العربية الفصحى وعلى كتابنا المقدس القرآن الكريم من المستشرقين أنفسهم؛ لأن من المستشرقين من وصف بالاعتدال والإنصاف في حديثهم عن لغتنا العربية وعن القرآن الكريم فكانوا أكثر إنصافا واعتدالا منهم حيث عرفوا فضل وشرف العربية وأقروا بأن القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل من السماء على سيدنا محمد ﷺ، ومن هؤلاء المستشرق النمساوي (جوستاف جرونيباوم "١٩٠٩-١٩٧٢") الذي تحدث عن تفرد وشرف العربية فقال: "عندما أوحى الله رسالته إلى رسوله محمد أنزلها(قرآنا عربيا) والله يقول: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها، فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية". ومنهم المؤرخ البلجيكي (جورج سارتون) الذي قال: "إن الوحي نزل على الرسول باللغة العربية، وهكذا كانت العربية لغة الله ولغة الوحي ولغة أهل الجنة.... ولقد أتفق أن اللغة الوحيدة التي عرفها الرسول كانت من أجمل اللغات في الوجود.... ووهبَ الله اللغة العربية مرونةً جعلتها قادرةً على أن تدون الوحي أحسن تدوين

(١) إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام – أنور الجندي صـ ٢٥٥ – دار الاعتصام، القاهرة، من دون طبعة أو تاريخ.

بجميع دقائق معانيه ولغاته، وأن تعبر عنه بعباراتٍ عليها طلاوة وفيها متانة". والمستشرق الألماني (يوهان فك) الذي قال: "لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل فستحتفظ العربية بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية". (١) فهؤلاء المتغربون هم كمن قال فيهم (فيلا سبازا): "إني لأعجب لفئة كثيرة عدوها من أبناء هذا الشرق العربي تتفرط من عقد قوميتها ويتظاهر أفرادها بتفهم الثقافات الغربية تفهمًا تامًّا، فهم يعجزون بابتعادهم عن لغة قومهم وغرائزهم، ولكم رأيت في هذه البلدان أناسًا يخدعون أنفسهم ليقال عنهم إنهم متمدينون راقون متعالون إلى أسمى درجات المدنية". (٢) أو كمن قال فيهم الإمام (الغزالي) – رحمه الله –: "فإني قد رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأتراب والنظراء بمزيد من الفطنة والذكاء... والانخداع بالخيالات المزخرفة كلامع السراب، كما اتفق لطوائف من النظار في البحث عن العقائد والآراء من أهل البدع والأهواء. وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة كسقراط وبقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس وأمثالهم، وأطناب طوائف من متبعيهم وضلالهم في وصف عقولهم وحسن أصولهم، ودقة عقولهم ...". (٣) وقد حذرنا الله – ﷻ – في كتابه الكريم من الاقتداء بأمثال هؤلاء فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا

(١) الفصحى لغة القرآن صـ ٣٠٢ – ٣٠٦ بتصرف.

(٢) السابق صـ ٣٠٩.

(٣) ينظر: تهافت الفلاسفة – أبو حامد الغزالي – تح/ سليمان دنيا صـ ٧٣، ٧٤ بتصرف – دار المعارف/ مصر – الطبعة/ الرابعة – من دون تاريخ.

لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (١) فالله – ﷻ – في هذه الآيات يحذّر المؤمنين صراحة من أن يأمنوا جانب هؤلاء الذين يكيدون لهم ولدينهم، ويبيّتون السوء للرسالة الإسلامية وكتابها السماوي المقدس القرآن الكريم، ويحاولون صد الناس عنهما.

فليس من المنطق – إذن – أن نطبق مناهج الغربيين الحديثة على كتابنا المقدس القرآن الكريم أو غيره من كتب التراث كما فعل هؤلاء المتغربون؛ لما فيه من القطيعة بيننا وبينه مما يحول عن فهم مقاصده وغاياته التي هي مراد الله – ﷻ – مع وضوح هذا الفرق بين تراثهم الذي اندثر وباد فحاولوا إحياءه بطرق متعددة، وتراثنا الباقي والمحفوظ بحفظ الله – ﷻ – له إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، أضف إلى ذلك عدم صلاحية تطبيق هذا المنهج البنيوي الغربي على التراث الإسلامي عامة والقرآن الكريم خاصة؛ نظرا لارتباط تفسير القرآن الكريم بأسباب النزول ارتباطًا وثيقًا، فالآية لا يمكن تفسيرها أو فهم مقاصدها أو بيان الحكم الشرعي الذي اشتملت عليه إلا من خلال الوقوف على أسباب النزول التي تمثل الظرف الخارجي والملابسات المحيطة بالآية وقت نزولها، فمعرفة أسباب النزول تساعد على التمكّن من تفسير الآيات على وجهها الصحيح. ومن هذه الأسباب: "الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال.. فمثلًا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (٢) قد يُفهم منه إباحة بعض المطعومات

(١) سورة آل عمران الآيات (١١٨، ١١٩، ١٢٠).

(٢) سورة المائدة من الآية (٩٣).

المحرمة ما دام المتناوِل تقيًّا مؤمنًا عاملًا للصالحات، فإذا عرف سبب النزول فُهم أنها نزلت لما سأل الصحابة – رضوان الله عليهم – عن مصير إخوانهم الذين ماتوا وكانوا يشربون الخمر، وهي رجس ولم تكن قد حرمت؛ فأنزل الله الآية إشارة إلى أن من مات قبل التحريم فلا جناح عليه. وكذا قوله في الذين صلوا إلى بيت المقدس وماتوا قبل تحويل القبلة إلى الكعبة، قال في قبول أعمالهم: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١) ... ومنها: دفع توهم الحصر فمثلًا قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ (٢) ظاهر هذا حصر المحرمات في هذه الأمور، فإذا علم السبب؛ وهو أن المشركين لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله، وكانوا على المضادة والمحادة، جاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتموه، نازلًا منزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة، فتقول: لا آكل اليوم إلا حلاوة.. والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة؛ فكأنه قال: لا حرام إلا ما أحللتموه من هذه الأصناف. ولم يقصد حل ما وراءها أو تحريمه؛ بل هو سكوت عنه حتى جاءت آيات تضيف أصنافًا أخرى إلى هذه المحرمات". (٣) ولولا معرفة سبب النزول لتمسك الواهمون بمثل قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما﴾ (٤) دليلا على عدم حرمتها لما فيها من المنافع. فمن أجل

(١) سورة البقرة من الآية (١٤٣).

(٢) سورة الأنعام من الآية (١٤٥).

(٣) الأصلان في علوم القرآن – د/ محمد عبد المنعم القيعي صـ ١٤، ١٥ – الطبعة/ الرابعة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٤) سورة البقرة من الآية (٢١٩).

ذلك يقول الواحدي في مقدمة كتابه أسباب النزول "إذ هي– أي أسباب النزول– أوفى ما يجب الوقوف عليه وأولى ما تصرف العناية إليه؛ لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها". (١) وفي هذا أبلغ رد على من زعم "أنه لا فائدة للإلمام بأسباب النزول وأنها لا تعدو أن تكون تاريخا للنزول أو جارية مجرى التاريخ، وقد أخطأ فيما زعم، فإن لأسباب النزول فوائد متعددة لا فائدة واحدة". (٢)

فلـ "معرفة أسباب النزول أهمية تظهر في توضيح معاني الآيات، ومعرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم... وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن. وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".(٣)

ومن هنا ندرك الارتباط الوثيق والربط المتين بين الآية القرآنية والملابسات الخارجية التي اقترنت بها، ومدى عمق تاريخية النص القرآني المقدس الذي لا يجوز بأي حال من الأحوال أو تحت أي ذريعة بدعوى الحداثة والتطور إخضاعه للمناهج الغربية الحديثة وفي مقدمتها المنهج البنيوي الذي

(١) ينظر: من روائع القرآن (تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل) – محّمد سَعيد رَمضان البوطي صـ ٤٠ – مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن – أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي – تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم ١/ ٢٢ – دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه – الطبعة/ الأولى ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، ومناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبد العظيم الزُّرْقاني ١/ ٢٠٩ – مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – الطبعة/ الثالثة، من دون تاريخ.

(٣) الواضح في علوم القرآن – مصطفى ديب البغا، ومحيي الدين ديب مستو صـ ٦٠ – دار الكلم الطيب/ دار العلوم الإنسانية، دمشق – الطبعة/ الثانية ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

فقد بريقه في منبعه الأصيل وثبت عدم جدواه عندهم أنفسهم لبعده وانفصاله التام عن الواقع، وأصبح عندهم منهجا باليا وغير واقعي في تفسير النصوص أو تحليلها؛ لذا باد واندثر عندهم، وكان الأولى بنا نحن المسلمين أن نرفضه رفضًا تامًا، ولا نقبله مطلقًا، لكننا إذا علمنا من هم الذين تبنوا هذا الفكر أو هذا المنهج ممن يدعون العروبة والإسلام فهم السبب، وانقضى العجب، وبان أن في تغريب العقل العربي ضعفًا في المروءة ومنقصة في العقل والخلق والدين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد – ﷺ – وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن غاية البحوث العلمية هي الوصول إلى نتائج علمية محددة تسعى إليها، وتستنبط منها؛ لتكون منطلقًا فكريًّا ذا مصداقية في الكشف عن مضامينه، وقد توصلت في هذا البحث بعون من الله – ﷻ – وبتوفيقه إلى عدة نتائج أجملها فيما يلي:

١. عدم صلاحية هذا المنهج للدراسات الإسلامية عمومًا والقرآن الكريم خاصة؛ نظرا لارتباط تفسير القرآن الكريم بأسباب النزول ارتباطا وثيقا، فالآية لا يمكن تفسيرها أو فهم مقاصدها أو بيان الحكم الشرعي الذي اشتملت عليه إلا من خلال الوقوف على أسباب النزول التي تمثل الظرف الخارجي والملابسات المحيطة بالآية وقت نزولها.

٢. أن هذا المنهج البنيوي يتصادم مع النص اللغوي عمومًا ونصوص الوحي خصوصًا؛ لأنه يعطل اللغة عن مهمتها في نقل المعاني، ويحولها إلى هياكل جامدة يعاد تركيبها وصنع دلالاتها بعيدا عن معانيها الظاهرة ومرادات قائليها.

٣. أن البنيوية الحديثة وإن وافقت بعض ما جاء في التراث العربي عند سيبويه وعبد القاهر الجرجاني شكلا إلا أنه تختلف عنها اختلافًا جوهريًّا لا يمكن دحضه.

٤. ثبوت عدم صحة الزعم القائل إنه لم يعد اليوم بالإمكان معاجلة أية ظاهرة أدبية بمعزل عن المناهج اللسانية الحديثة، وأن ما قدمته هذه المناهج من مفاهيم ونظريات تخص اللغة ومجالاتها يغري بتجريب قدرتها وفاعليتها على معرفة الخطاب وهويته وطبيعته وشكله؛ حيث ثبت بالدليل القاطع

عدم صحة أو دقة المنهج البنيوي في تحليل النصوص مما أدى إلى انهياره والابتعاد عنه وقيام مناهج ونظريات أخرى على أنقاضه.

٥. أن البنيوية منهج لغوي له جذور فلسفية وليست مذهبا فلسفيا، وقد انطلقت في الأساس من علم اللغة من خلال مؤلفات دي سوسير" الذي يعتبر الرائد الأول للبنيوية، ثم انتقلت كمنهج مرتبط باللغة ارتباطا وثيقا في الدراسات الأخرى غير اللغوية كـ علم الاجتماع من خلال مؤلفات "كلود ليفي شتراوس"، ثم تسربت إلى علم النفس وعلم النفس التحليلي من خلال مؤلفات "ميشال فوكو" أو "جاك لاكان، ثم عمت ميادين المعرفة في مختلف المجالات.

٦. أن البنيوية القائمة على عزل النص عن كاتبه ومحيطه الخارجي لم تكن واقعية، بل كانت بعيدة كل البعد عن الواقعية العلمية، وكانت أقرب للتنظير الافتراضي أو الجدلي منها إلى الدراسة العلمية المنظمة؛ لأنها تساعد على قلب الحقائق الثابتة ولي النصوص وتوظيفها في غير ما استدل بها.

٧. أن في تبني المنهج البنيوي في تحليل النصوص تجريدًا لها من كل خصوصية تميزها، وأنه لا يمكن نزع اللفظ من سياقه ومحيطه وتاريخه، والظروف التي أنشئ فيها، ولا يمكن تجاهل المؤلف الذي أوجد النص؛ لارتباطه بالمقام التاريخي والنفسي الذي قيل فيه، وأن التحليل العميق للتواصل عن طريق اللغة يبين أن اللغة إلى جانب القيم الأخلاقية والثقافية والاجتماعية تكون تعبيرًا عن واقع روحي ارتبط به لا يمكن تجاهله.

٨. تأثر بعض اللغويين المستغربين من العرب أمثال: طه حسين، ومحمد أركون، وهاشم صالح، وعلي حرب، ونصر حامد أبو زيد وغيرهم بالفكر

الأوربي واقتدائهم به وتغليبهم له على الفكر العربي أو الإسلامي، بل ومحاولة تطبيقهم لهذا الفكر التخريبي أو البارتي على أقدس الأقداس وهو القرآن الكريم، مع أن هذا الفكر قد غابت شمسه في منبعه الأصيل وثبت عدم واقعيته وعدم جدواه فباد واندثر، ومن هنا ظهر عدم صحة دراساتهم التي اتخذت البنيوية اللسانية منطلقا رئيسا لتفسيراتهم للقرآن الكريم خاصة، وللنصوص الأدبية عامة.

٩. أن البنيوية في بلادنا العربية والإسلامية انطلقت من مفاهيم غربية وأناس لا يدينون بالانتماء الفكري لدينهم الإسلامي؛ لتقديسهم للغرب وعلومه الذي شكل مفاهيمهم، فأعجبوا به وغلبوه على منطق علومهم الأصيلة.

١٠. أن التحليل البنيوي قام على دعائم فلسفية ارتبطت بالحركة الفكرية أو السياسية الغربية كفلسفة موت الإله عند نيتشه، وفلسفة موت المؤلف عن بارت وغيره.

١١. أن البنيوية تنحاز للفظ على حساب المعنى، فالدال عندهم وهو اللفظ موضع ثقتهم لأنه مادي، أما المدلول فيبقى عندهم مسألة فيها نظر لتنوعه وتعدده بتنوع قراءته بحسب قارئه لا بحسب مبدعه، فاللغة تدل على نفسها وتلغي المدلول القديم لتحل هي مكانه.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه على نعمة التمام المأمول بإذن الله

فهرس المصادر والمراجع

١. إشكالية موت المؤلف من المرجعية الفكرية إلى التأسيس النظري – د/ بصير نور الدين – مجلة المعيار/ جامعة بو حسيبة بن بو علي الشلف / الجزائر – العدد (٤٤) سنة ٢٠١٨

٢. الأصلان في علوم القرآن – د/ محمد عبد المنعم القيعي– الطبعة/ الرابعة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٣. أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الإثنولوجية – د/ محمود فهمي حجازي – مجلة عالم الفكر المجلد (٣)، العدد (الأول)١٩٧٢م – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت.

٤. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة – د/ نايف خرما– سلسلة عالم المعرفة ١٩٧٨م.

٥. إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام – أنور الجندي – دار الاعتصام، القاهرة، من دون طبعة أو تاريخ.

٦. الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين – د/ رشيد عبد الرحمن العبيدي – مجلة المورد العدد (الثالث)، مجلد (١٨) لسنة ١٩٨٩م.

٧. الأنثروبولوجيا البنيوية – كلود ليفي شتراوس – ترجمة د/ مصطفى صالح – منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٧م.

٨. انغلاق البنية وانفتاحها في البنيوية والتداولية والبلاغة العربية– د/ أسامة محمد إبراهيم البحيري – ندوة الدراسات البلاغية الواقع والمأمول.

٩. الأنماط الشكلية لكلام العرب نظرية وتطبيقا دراسة بنيوية – جلال شمس الدين – مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر ١٩٩٥م.

١٠. بارت – فيليب ثودي – ترجمة/ جمال الجزيري، المركز القومي للترجمة القاهرة 2003م.

١١. البرهان في علوم القرآن – أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي – تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه – الطبعة/ الأولى ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
١٢. البنيوية – جان بياجيه – ترجمة/ عارف منيمنة وبشير أوبري – منشورات دار عويدات/ بيروت – باريس – الطبعة/ الرابعة ١٩٨٥م.
١٣. البنيوية أفلسفة هي أم منهج – رسالة دكتوراة في اللغة العربية وآدابها بجامعة الخرطوم – هناء محمد أبو زينب محمد للعام ٢٠٠٦م.
١٤. البنيوية التكوينية والنقد العربي الحديث "دراسة لفاعلية التهجين"– أحمد سالم ولد أباه – المكتبة المصرية ٢٠٠٥م.
١٥. البنيوية النشأة والمفهوم عرض ونقد – محمد بن عبد الله بن صالح بلعفير – مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية – العدد (١٥)، المجلد (١٦) يوليو – سبتمبر ٢٠١٧م.
١٦. البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو –د/عبد الوهاب جعفر – دار المعارف ١٩٨٩م.
١٧. البنيوية بين النشأة والتأسيس (دراسة نظرية) – ثامر إبراهيم محمد المصاروة – من دون طبعة أو تاريخ.
١٨. البنيوية فلسفة قتل الإنسان قراءة في مقولة موت المؤلف – أ/ مغربي محمد رضا – جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس.
١٩. البنيوية فلسفة موت الإنسان – روجيه جارودي – ترجمة/ جورج طرابيشي – دار الطليعة، بيروت – الطبعة/ الأولى ض٩٧٩م.
٢٠. البنيوية من منظور جرجاني – محمد يوب.
٢١. البنيوية والعولمة في فكر كلود لفي شتراوس – محمد مجدي الجزيري – دار الحضارة ١٩٩٩م.

٢٢. البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا – جون ستروك – ترجمة د/ محمد عصفور – سلسلة عالم المعرفة (٢٠٦) – سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت ١٩٩٠م.
٢٣. بؤس البنيوية (الأدب والنظرية البنيوية دراسة فكرية) – ليونارد جاكسون – ترجمة/ ثائر أديب – دار الفرقد/ دمشق، سورية – الطبعة/ الثانية ٢٠٠٨م.
٢٤. تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الزَّبيدي – تح/ مجموعة من المحققين – دار الهداية – من دون تاريخ.
٢٥. تجديد ذكرى أبى العلاء – د/ طه حسين – دار المعارف، القاهرة – بدون تاريخ.
٢٦. تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية دراسة في نقد النقد – د/ محمد عزام – منشورات اتحاد كتاب العرب/ دمشق ٢٠٠٣م.
٢٧. تحليل مقالة "موت المؤلف" لرولان بارت: إضاءة محفزاتها وآثارها الإيجابية في فتح النصوص للقراءات الحرة – د/ سعاد عبد الله العنزي.
٢٨. تهافت الفلاسفة – أبو حامد الغزالي – تح/ سليمان دنيا – دار المعارف/ مصر – الطبعة/ الرابعة – من دون تاريخ.
٢٩. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر – د/ عبد الله محمد الغذامي– الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة/ الرابعة ١٩٨٨م.
٣٠. درس السيمولوجيا – رولان بارت – ترجمة / عبد السلام بنعبد العالي – دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب – الطبعة/ الثالثة ١٩٩٣م.
٣١. دروس في الألسنية العامة – فرديناند دي سوسير – تعريب/ صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة – الدار العربية للكتاب ١٩٨٥م.

٣٢. دلائل الإعجاز في علم المعاني – تح د/ عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية/بيروت – الطبعة/ الأولى١٤٢٢هـ/٢٠٠١دليل الناقد الأدبي – د/ ميجان الرويلي، ود/ سعد البازعي – الناشر/ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب – الطبعة/ الثالثة ٢٠٠٢م.
٣٣. ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت – دراسة وتبويب د/ مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية، بيروت– الطبعة/ الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٣٤. ظواهر النقد الحديث وجذورها في التراث – مقال في النت لـ د/ حسن بن فهد الهويمل – الخميس ٣٠/١٠/٢٠٠٨م.
٣٥. عصر البنيوية – إديث كرزويل – ترجمة د/ جابر عصفور – دار سعاد الصباح، الكويت – الطبعة/ الأولى ١٩٩٣م.
٣٦. علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب) – عز الدين المناصرة – دار مجلاوي/ عمان – الطبعة/ الأولى ٢٠٠٧م،
٣٧. العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص – د/ أحمد إدريس الطعان – دار ابن حزم، الرياض ١٤٢٨هـ.
٣٨. عودة الحجاب – محمد أحمد إسماعيل – دار طيبة – الطبعة/ العاشرة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٣٩. الفصحى لغة القرآن – أنور الجندي – دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٤٠. الفكر الإسلامي قراءة علمية – محمد أركون – ترجمة/ هاشم صالح – مركز الإنماء القومي، رأس بيروت، المنارة، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب – الطبعة/ الثانية ١٩٩٧م.

٤١. الفكر الأصولي واستحالة التأصيل (نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي) – محمد أركون – ترجمة/ هاشم صالح صـ ١٤٦ – دار الساقي، بيروت – الطبعة/ الأولى ١٩٩٩م.
٤٢. في مناهج القراءة النقدية الحديثة – عبد القادر علي باعيسى – مركز عبادي للدراسات والنشر/ صنعاء – الطبعة/ الأولى ٢٠٠٤م.
٤٣. القرآن الكريم ومناهج تحليل الخطاب دراسة وتقويم – د/ عبد الرازق هرماس – من دون طبعة أو تاريخ.
٤٤. القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الدين – محمد أركون – ترجمة/ هاشم صالح – دار الطليعة، بيروت ٢٠٠٥م.
٤٥. قضية البنيوية دراسة ونماذج – د/ عبد السلام المسدي – وزارة الثقافة/ تونس – الطبعة/ الأولى ١٩٩١م.
٤٦. كلود ليفي ستروس والتحليل البنيوي للأسطورة – د/ يحي خير الله – مجلة الإناسة وعلوم المجتمع العدد (٥)، يولية ٢٠١٩م.
٤٧. لذة النص – رولان بارت – ترجمة/ منذر عياشي – مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا – الطبعة/ الأولى ١٩٩٢م.
٤٨. لسان العرب – ابن منظور – دار صادر/ بيروت.
٤٩. اللسانيات البنيوية المنهجيات والاتجاهات – د/ مصطفى غلفان – دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – الطبعة/ الألى ٢٠١٣م.
٥٠. مبادئ في اللسانيات العامة – أندريه مارتيني – دار الآفاق سلسلة العلم والمعرفة – د، ت.
٥١. محمد أركون و"علمنة" الإسلام – مقال في شبكة الألوكة لـ عبد العزيز كحيل – تاريخ الإضافة: ٢٠١٢/١/١٢ ميلادي – ١٤٣٣/٢/١٨ هجري.
٥٢. مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص – رولان بارت – ترجمة/ منذر عياش – مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا – الطبعة/ الأولى ١٩٩٤م.

٥٣. مدخل إلى المدارس اللسانية – د/ السعيد شنوفة – المكتبة الأزهرية للتراث/ القاهرة، مصر – الطبعة/ الأولى ٢٠٠٨م.
٥٤. المدرسة الشكلانية الروسية – بيتر شتاينر – ترجمة/ خيري دومة، ضمن موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، ج ٨، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2006م.
٥٥. المرايا المحدّبة (من البنيويّة إلى التفكيك) – د/ عبد العزيز حمودة – سلسة عالم المعرفة (٢٣٢) – ذو الحجة ١٤١٨/ إبريل ١٩٩٨م.
٥٦. المرايا المقعّرة (نحو نظرية نقدية عربية) – د/ عبد العزيز حمودة – سلسلة عالم المعرفة/ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/الكويت – أغسطس ٢٠٠١م.
٥٧. مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان التكوينية – د/ عادل اسعيدي المركز الجامعي تامنغست (الجزائر)، ود/ عبد القادر بختي المركز الجامعي تامنغست (الجزائر) – مجلة آفاق علمية – المجلد (١١) العدد (٤) السنة ٢٠١٩م.
٥٨. مساءلة التفسير البنيوي للقرآن – رايتشل فريدمان – ترجمة/ أمنية أبو بكر – مركز تفسير للدراسات القرآنية – من دون طبعة أو تاريخ.
٥٩. مشكاة المفاهيم – محمد مفتاح – المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – الطبعة/ الأولى ٢٠٠٠م.
٦٠. مشكلات فلسفية (مشكلة البنية) أو أضواء على البنيوية – د/ زكريا إبراهيم – مكتبة مصر/القاهرة – من دون تاريخ.
٦١. المعجم الوسيط – المؤلف / إبراهيم مصطفي، وآخرون – تح/ مجمع اللغة العربية، القاهرة – دار الدعوة.
٦٢. معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس – تح/ عبد السلام هارون، دار الفكر.

٦٣. مقاربات تحليل الخطاب في المدرسة اللسانية الفرنسية (مفهوم سلطة الخطاب عند بارت فوكو مانغونو أنموذجا) – د/ راضية واكي – ضمن أعمال ملتقى الوطني الأول (تحليل الخطاب بين المداخل اللغوية والمناهج النقدية) – جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر ٥ نوفمبر ٢٠١٨م.
٦٤. مقال بعنوان: (ما البنيوية، دارسات وأبحاث أدبية) – د/ جميل حمداوي – موقع على الإنترنت.
٦٥. مقدمة في نظرية القواعد التوليدية – مرتضى جواد باقر – دار الشروق/عمان، الأردن ٢٠٠٢م.
٦٦. مقولة موت المؤلف وعلاقتها بنظرية النص عند رولان بارت رؤية نقدية – د/ ألفت عبد الحميد حسانين شافع – من دون طبعة أو تاريخ.
٦٧. مكانة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة – د/ جمزة بن قبلان المزيني – مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد (٥٣) السنة الحادية والعشرون – ذو القعدة ١٤١٧هـ – ربيع الآخر ١٤١٨هـ/ تموز –كانون الأول ١٩٩٧مـ
٦٨. من روائع القرآن (تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل) – محّمد سَعيد رَمضان البوطي – مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٦٩. مناهج النقد الأدبي المعاصر – د/ سمير حجازي – دار التوفيق/ بيروت – الطبعة/ الأولى – من دون تاريخ.
٧٠. مناهج النقد المعاصر – د/ صلاح فضل – القاهرة – الطبعة / الأولى ٢٠٠٢م.
٧١. مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبد العظيم الزُّرْقاني – مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – الطبعة/ الثالثة، من دون تاريخ.
٧٢. منزلقات تطبيق نظرية موت المؤلف على الخطاب القرآني المقدس – د/ جوهرة شتيوي بوحبيبة – المركز الجامعي بوالصوف، ميلة.

٧٣. المنهج القرآني في بناء العقيدة – قاسمي السعيد، تحت إشراف: سعيد فكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، الجزائر ١٤٣٤/ ١٤٣٥هـ.
٧٤. المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني دراسة تحليلية نقدية – أطروحة ماجستير في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في قطر يناير 2017م – محمد عبد الرحيم طحان.
٧٥. موت المؤلف بين النظرية والتطبيق في النقد البنيوي المعاصر – د/ خالد سليمان – مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية المجلد (١١)، العددان (١و٢) ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٧٦. موقف علم للغة الحديث من أصول النحو العربي دراسة في المؤلفات العربية والمترجمات – رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية / جامعة أم القرى – مطير بن حسين المالكي – عام ١٤٢٢/ ١٤٢٣هـ.
٧٧. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام – د/ النشار – دار المعارف – الطبعة/ السابعة ١٩٧٧م.
٧٨. النص القرآني (التفسير الإشراقي للنص القرآني في النصف الثاني من القرن العشرين) – د/ فاطمة سروري – ترجمة/ أسعد مندي الكعبي – المركز الإسلامي للدراسات الإستيراتيجية، النجف، العراق – الطبعة/ الأولى ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.
٧٩. النص والحقيقة (نقد الحقيقة) – علي حرب – المركز الثقافي العربي، بيروت – الطبعة/ الأولى ١٩٩٣م.
٨٠. النظام اللغوي للقرآن الكريم في دراسات القدامى والمعاصرين – د/ حسن منديل حسن العقيلي – بحث في النت.

٨١. النظريات اللسانية الحديثة وتحليل الخطاب – د/ عيسى بو فسيو – ضمن أعمال ملتقى الوطني الأول (تحليل الخطاب بين المداخل اللغوية والمناهج النقدية) – جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر ٥ نوفمبر ٢٠١٨م
٨٢. النظرية الأدبية المعاصرة – رامان سلدن – ترجمة د/ جابر عصفور – الهيئة المصرية لقصور الثقافة، القاهرة 1996م.
٨٣. نظرية البنائية في النقد الأدبي – د/ صلاح فضل– دار الشروق – ط/ أولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٨٤. نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث – د/ نهاد الموسى – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط/ أولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٨٥. نقد الخطاب الديني – د/ نصر حامد أبو زيد – سينا للنشر/ القاهرة، مصر – الطبعة/ الثانية ١٩٩٤م.
٨٦. نقد وحقيقة – رولان بارت – ترجمة/ منذر عياش – مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا – الطبعة/ الأولى ١٩٩٤م.
٨٧. هسهسة اللغة – رولان بارت – ترجمة د/ منذر عياشي – مركز الإنماء الحضاري/ حلب – الطبعة/ الأولى ١٩٩٩م.
٨٨. الواضح في علوم القرآن – مصطفى ديب البغا، ومحيي الدين ديب مستو – دار الكلم الطيب/ دار العلوم الإنسانية، دمشق – الطبعة/ الثانية ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٨٩. اليوم والغد – سلامة موسى – مؤسسة هنداوي – من دون تاريخ.
٩٠. وَا مُحَمَّدَاهُ {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} – أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني – دار العفاني، مصر – الطبعة/الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.